الخلع ضوابط وأحكام

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جمعية أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٦٤ السنة السادسة والخمسون - ربيع آخر ١٤٤٨ هـ

ربيع آخر ١٤٤٨ هـ | سبتمبر ٢٠٢٦ | الثمن ١٠ جنيهات

صلاة الخسوف
بعد بزوغ الفجر!!

الهاتف المحمول
في ميزان الشريعة

الثمن ١٠ جنيهات

Upload by : altawhedmag.com

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري.

مطابع الأهرام التجارية

السلام عليكم

نستقبل شهر ربيع الآخر بنفحاته المباركة وأيامه الميمونة، محملين بالأمل والرجاء أن يجعله الله شهر خير وبركة وأمن وأمان على أمتنا الإسلامية جميعها.

إن تعاقب الشهور والأيام تذكيرٌ دائم بقدرة الله تعالى وسنة التجدد في هذا الكون، وفرصة غالية لجميعنا لمراجعة النفوس، وتجديد النوايا، والإقبال على الله بقلوب خالية من الضغائن والأحقاد. مع بداية هذا الشهر الكريم، نسأل الله أن يكتب لنا فيه:

صلاح الأحوال: أن يلهمنا الرشد والهداية، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه من القول والعمل.

بركة الأوقات والارزاق: أن يبارك لنا في أعمارنا وأعمالنا، ويفتح لنا أبواب الخير والتيسير.

فرج الكربات: أن يجلي الهموم، ويشفي المرضى، وينصر المستضعفين في كل مكان.

لتكن بداية هذا الشهر خطوة جديدة نحو العمل الصالح، وافشاء السلام، والتراحم بين الناس. اللهم اجعله شهراً يحمل معه الفرج والسلام والخير العميم للجميع، ووفقنا فيه لطاعتك ومرضاتك.

مبارك عليكم حلول شهر ربيع الآخر، وكل عام وأنتم إلى الله أقرب.

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

Upload by : altawhedmag.com

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

الهاتف المحمول في ميزان الشريعة
الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
مدخل إلى العقيدة د. عبد الله شاكر ٨
أسئلة القراء عن الأحاديث
الشيخ/ مجدي قاسم (رحمه الله) ١١
صلاة الخسوف بعد بزوغ الفجر د. أيمن خليل ١٤
المؤمن القوي د. جمال المراكبي ٢٠
باب التراجم أ/ ربيع محمود ٢٤
كيف تحقق الإحسان؟ ٢٦
واحة التوحيد د. علاء خضر ٢٨
الأنس بالله تبارك وتعالى
أ/عبد العزيز مصطفى الشامي ٣٠
فضل الصبر على المرض وعيادة المريض
الشيخ /صلاح نجيب الدق ٣٤
القرآن الكريم وآداب تلاوته
د. محمد محمود العطار ٣٧
أسس ومقومات اختيار الزوجين د. أحمد زكي ٣٩
الدرر الحسان في وصايا الصحابة
أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي ٤٢
آية الكرسي الشيخ /إبراهيم حافظ رزق ٤٧
الخلع ضوابط وأحكام د. محمد عبد العزيز ٥٠
وضع الرجل المناسب في المكان المناسب
د /جمال عبد الرحمن ٥٥
قليل حلال نافع خير من كثير حرام ضار
د. محمد حامد ٥٨
من أحداث السنة الرابعة من الهجرة د. سيد عبد العال ٦١

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالاً ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالاً ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

Upload by : altawhedmag.com

الهاتف المحمول في ميزان الشريعة

إعداد فضيلة الشيخ / أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

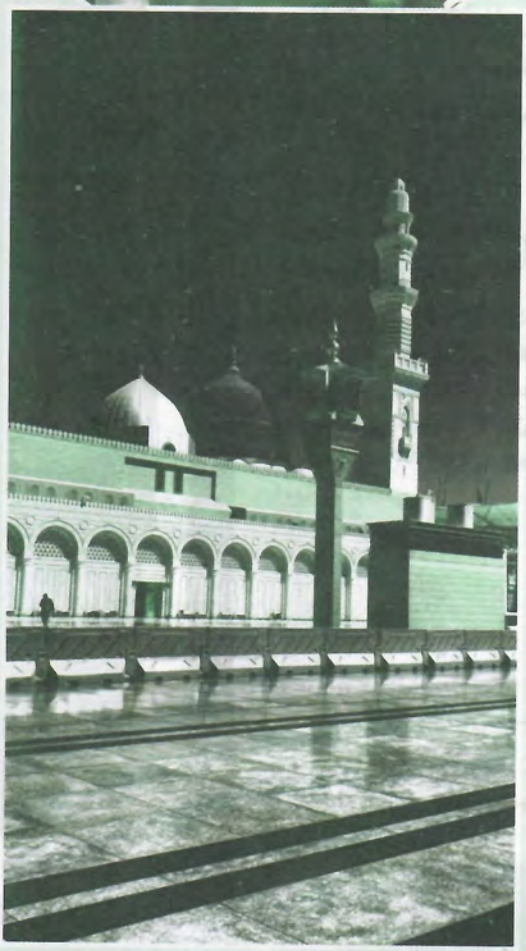

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن الله تعالى خلق الخلق وربَّاهم بنعَمه وهيَّأ لهم ما يُصلحهم وما تقوم به حياتهم في كل زمان ومكان. وقد سأل فرعون نبي الله موسى عليه السلام: «قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى» (طه: ٤٩)، فأجابه بقوله: «قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» (طه: ٥٠). وقد نقل الإمام البغوي في تفسيره عن الحسن وقتادة قولهما في معنى الآية الكريمة: أعطى كل شيء صلاحه، وهداه لما يصلحه.

وقال سبحانه: «وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» (إبراهيم: ٣٤). قال ابن كثير رحمه الله: "هيَّأ لكم كل ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم مما تسألونه بحالكم ومقالكم".

Upload by : altawhedmag.com

وإنَّ مما يحتاجه الناس قديمًا وحديثًا وسائل التواصل على اختلاف أشكالها في كل زمان ومكان. وقد تطوَّرت وسائل الاتصال في زماننا بما لم يكن يخطر لإنسان على بال، حتى كادت هذه الوسائل أن تكون من الضرورات التي لا يستغني عنها أحد، ومن هذه الوسائل الهاتف المحمول، والذي لم يقتصر دوره عند حد الاتصالات، بل أصبح جهازًا متكاملًا يمكن من خلاله الحصول على منافع عدة؛ فقد يسَّر الله به تواصل الناس ببعضهم؛ فطُويت به المسافات، وقُضيت به المصالح، وفتح الله به أبوابًا للعلوم في شتى المجالات.

فبه يتمكن المسلم من تلاوة القرآن والاستماع إليه، وصلة رحمه وسماع حلقات العلم الشرعي، ومعرفة أوقات الصلاة واتجاه القبلة، إلى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية، وشريعة الإسلام تُواكب كل عصر ومستجداته وليست بمعزل عن هذه المستجدات، غير أنها تنظر إليها على أنها وسيلة لا غاية؛ فإن أدَّت الوسيلة إلى نافع ومشروع فهي مشروعة ممدوحة، وإن أدَّت إلى مُحرَّم أو ضارٍّ فهي مُحرَّمة غير مشروعة. والموفَّق مَن جعل من هذه الوسيلة نعمة يستخدمها بضوابط الشرع، فيصل بها رحمه، ويزداد بها علمًا ويراجع بها حفظه، ويعرف بها ما له وما عليه، ويُنجز بها أعماله، ويكون هذا بابًا للزيادة بشكر هذه النعمة «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» (إبراهيم:٧).

ويجب على المسلم وهو يتعامل مع هذه الوسيلة أن يعلم أن سهولة وصول المعلومة من خلالها ليس دليلًا على صحتها؛ فعليه أن يتحرى الدقة، خاصةً إن أراد نشرها.

فقد أمر الله المؤمنين بالبيان والتثبت عند سماع الأخبار فليس كل ما يُعلم يُقال، ولا كل ما يُقال يُصدَّق؛ قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» (الحجرات: ٦)؛ قال ابن كثير رحمه الله: امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال؛ لاحتمال فسقه. وعليه ليس كل ما يُنشر يُصدَّق إلا إذا كان من مصدر موثوق به؛ فكم نشر الناس من رسائل على أنها عبادة أو ذكر أو يأتي من ورائها الرزق، وإن من نشرها كذا من المرات حصل من البشريات كذا وكذا، وهي في الأصل أمور لا علاقة لها بالدين، بل قد تكون من البدع المنكرة

> أساء كثير من الناس استخدام التليفون المحمول فكان سببًا في ضياع أوقاتهم بين تصفح وكلام قد يُلهي عن الصلاة.

وكم تناقل الناس على هواتفهم من أخبار كاذبة عن وفاة فلان أو مرضه أو غيابه. وكم نشر المغرضون والمخربون أخبارًا كاذبة عن وقوع حادث وأخبار كاذبة عن مسئولين بالدولة بما يوغر الصدور تجاه البلاد والمسئولين ويثير الفتنة والقلق للبلاد والعباد.

وقد أساء كثير من الناس استخدام التليفون المحمول فكان سببًا في ضياع أوقاتهم بين تصفح وكلام قد يُلهي عن الصلاة بل قد يضيعها، وقد ورد في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ». فضلًا عن مشاهدة مقاطع وربما أفلام ومسلسلات يجب غضّ البصر عنها امتثالًا لقوله

Upload by : altawhedmag.com

تعالى: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ» (النور: ٣٠).

فما أحوجنا إلى العلاج بل والوقاية من كثير من المفاسد الحاصلة من وراء استخدام التليفون المحمول، ومعرفة ما يتفق وما يختلف مع الشرع ليكون أداة نافعة؛ بإذن الله.

ومن ذلك: مراقبة الأبناء، مع من يتكلمون، وأي شيء يشاهدون، فكم من الأبناء وقع في مهالك كثيرة بسبب سوء استخدام التليفون؛ قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (التحريم: ٦).

وليحذر المسلم من إيذاء المصلين بالتشويش عليهم من خلال عدم إغلاق هاتفه في المسجد، وربما وصل به الأمر إلى إخراجه والنظر فيه بما يذهب بالخشوع وتعظيم شعائر الله.

وفي المسجد الحرام ترى عجبًا من طائف بملابس إحرامه يحرص على تصوير نفسه وتسجيل دعائه، ومنهم من يعلن عن أدائه عمرة عن فلان، أو استقباله للطلبات ليدعو بها؛ مما يؤثر على عبادته وعبادة غيره من الطائفين.

ومن الآداب التي يجب مراعاتها: ألا يتمادى في الاتصال أكثر من ثلاث مرات - فإن الاستئذان ثلاث كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم - مراعيًا ظروف من يتصل عليه؛ فقد يكون نائمًا أو مشغولًا أو حتى لا يناسبه الرد عليه، وأن يحسن الظن بالآخرين.

ومما عمت به البلوى أن يقوم بعض الناس بتسجيل المكالمة بغير علم من يحادثه، ويجب أن يعلم أنه لا يجوز تسجيل مكالمة إلا بإذن صاحبها، وبعض الناس يقوم بفتح مكبر الصوت بالهاتف أثناء محادثته مع شخص آخر وقد يكون معه بعض الناس فيستمعون إلى المحادثة، وهذا مما يقبح بالإنسان فعله، فالكلام بين المتصل والمتصل به لا يسمع به الآخرون إلا بإذنه.

وعلى المرأة المسلمة إذا اضطرت لاستخدام الهاتف ألا تخضع بالقول وألا تطيل الكلام مع الرجال الأجانب؛ قال تعالى لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا» (الأحزاب: ٣٢).

> من مظاهر سوء استخدام الهاتف: استخدامه في أثناء قيادة السيارة أو غيرها مما يؤدي إلى مفاسد كثيرة.

ومن مظاهر سوء استخدام الهاتف: استخدامه في أثناء قيادة السيارة أو غيرها مما يؤدي إلى مفاسد كثيرة.

كما أنه ليس من تعظيم كلام الله تعالى أن يجعله أداة تنبيه على هاتفه فبعض الناس يجعل آية من القرآن الكريم تتردد عند تلقيه اتصالا؛ وقد تأتي القراءة في مكان لا يليق بكتاب الله أو تُقطع عند كلام يغير المعنى، وكذلك الأذان فإن له موعدًا، وكذلك سائر الأذكار على المسلم أن ينزلها منزلتها تعظيمًا لشعائر الله: «ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ» (الحج: ٣٢).

نسأل الله أن يجعلنا من الشاكرين لنعمه، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

Upload by : altawhedmag.com

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا» (الأحزاب: ٥٣).

إعداد: د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فضائل الحجاب ومضار الاختلاط

يُنَظِّمُ اللهُ تعالى في هذه الآيات علاقة المسلمين ببيوت النبي صلى الله عليه وسلم وبنسائه أمهات المؤمنين، في حياته وبعد وفاته، ويواجه حالة كانت واقعة، إذ كان بعض المنافقين والذين في قلوبهم مرض يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم في بيوته وفي نسائه، فيحذرهم تحذيرًا شديدًا، ويريهم شناعة جرمهم عند الله وبشاعته، ويهددهم بعلم الله بما يخفون في صدورهم من كيد وشر.

متى نزلت آية الحجاب؟

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَرُوسًا بِزَيْنَبَ، فَقَالَتْ لِي أُمُّ سُلَيْمٍ: لَوْ أَهْدَيْنَا لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم هَدِيَّةً، فَقُلْتُ لَهَا: افْعَلِي، فَعَمَدَتْ إِلَى تَمْرٍ وَسَمْنٍ وَأَقِطٍ فَاتَّخَذَتْ حَيْسَةً فِي بُرْمَةٍ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا مَعِي إِلَيْهِ، فَانْطَلَقْتُ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لِي: ضَعْهَا. ثُمَّ أَمَرَنِي فَقَالَ: ادْعُ لِي رِجَالًا، سَمَّاهُمْ، وَادْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ. قَالَ: فَفَعَلْتُ الَّذِي أَمَرَنِي. فَرَجَعْتُ فَإِذَا الْبَيْتُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَيْسَةِ وَتَكَلَّمَ بِهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشَرَةً عَشَرَةً، يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَقُولُ لَهُمْ: اذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ. قَالَ: حَتَّى تَصَدَّعُوا كُلُّهُمْ عَنْهَا، فَخَرَجَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ وَبَقِيَ نَفَرٌ يَتَحَدَّثُونَ، قَالَ: وَجَعَلْتُ أَغْتَمُّ، ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَحْوَ الْحُجُرَاتِ، وَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ قَدْ ذَهَبُوا فَرَجَعَ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ وَأَرْخَى السِّتْرَ وَإِنِّي لَفِي الْحُجْرَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

Upload by : altawhedmag.com

لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق» (الأحزاب: ٥٣). (صحيح البخاري: ٥١٦٣).

من مناقب عمر رضي الله عنه:

وهذه الآية من موافقات عمر -رضي الله عنه-، كما ثبت في الصحيحين عنه أنه قال: «وافقت الله في ثلاث. قلت: يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى؟ وقلت: يا رسول الله! يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه، فدخلت عليهن، قلت: إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله صلى الله عليه وسلم خيرًا منكن، حتى أتيت إحدى نسائه، قالت: يا عمر! أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت! فأنزل الله «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن» (التحريم: ٥). (صحيح البخاري: ٤٤٨٣).

والآية تتضمن آدابا لم تكن تعرفها الجاهلية في دخول البيوت، حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان الناس يدخلون البيوت بلا إذن من أصحابها، كما سبق في سورة النور. وربما كان هذا الحال أظهر في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أصبحت هذه البيوت مهبط العلم والحكمة، وكان بعضهم يدخل وحين يرى طعامًا يوقد عليه يجلس في انتظار نضج هذا الطعام ليأكل بدون دعوة إلى الطعام، وكان بعضهم يجلس بعد الطعام -سواء كان قد دعي إليه أو هجم عليه دون دعوة- ويأخذ في الحديث والسمر، غير شاعر بما يسببه هذا من إزعاج للنبي صلى الله عليه وسلم وأهله. وفي رواية أن أولئك الثلاثة الرهط الذين كانوا يسمرون كانوا يفعلون هذا وعروس النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش جالسة ووجهها إلى الحائط، والنبي صلى الله عليه وسلم يستحيي أن ينبههم إلى ثقلة مقامهم عنده حياء منه، ورغبة ألا يواجه زواره بما يخجلهم، حتى تولى الله سبحانه عنه الجهر بالحق: «والله لا يستحيي من الحق» (الأحزاب: ٥٣).

إيجاب الاستئذان للدخول على النبي صلى الله عليه وسلم:

فقوله تعالى: «لا تدخلوا بيوت النبي» حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذن، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى لهذه الأمة، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت». (صحيح البخاري: ٥٢٣٢).

النهي عن دخول المدعو قبل الوقت:

ثم استثنى الله من ذلك فقال تعالى: «إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه»؛ قال مجاهد وقتادة وغيرهما رحمهم الله: أي غير متحينين نضجه واستواءه، أي لا ترقبوا الطعام إذا طبخ، حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه. (تفسير القرآن العظيم: ٥٠٥/٣).

وقال ابن عطية رحمه الله: كانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يبكر من شاء إلى الدعوة ينتظرون الطعام ونضجه. كذلك إذا فرغوا منه جلسوا كذلك، فنهى الله تعالى المؤمنين عن أمثال ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ودخل في النهي سائر المؤمنين، والتزم الناس أدب الله تعالى لهم في ذلك، فمنعهم من الدخول إلا بإذن عند الأكل، لا قبله لانتظار نضج الطعام. (المحرر الوجيز: ٣٩٥/٤).

وقوله تعالى: «ولكن إذا

Upload by : altawhedmag.com

دُعيتُم فادخُلوا»، أي: ادخُلوا على وجه الأدب، وحفظ الحضرة الكريمة من المباسطة المكروهة، وتقدير الكلام: إذا دُعيتُم فأذن لكم فادخُلوا، وإلا فنفس الدعوة تكون إذنًا كافيًا في الدخول. (الجامع لأحكام القرآن ابن العربي: ٣/١٥٧٧).

قال الرازي عفا الله عنه: وفي قوله تعالى: «ولكن إذا دُعيتُم فادخُلوا» لطيفة، وهي أن في العادة إذا قيل لمن كان يعتاد دخول دار من غير إذن: لا تدخلها إلا بإذن، فإنه يتأذى وينقطع بحيث لا يدخلها أصلًا، لا بالدعاء ولا بغير دعاء، فقال الله تعالى: لا تفعلوا مثل ما يفعله المستنكفون، بل كونوا طائعين سامعين، إذا قيل لكم لا تدخلوا لا تدخلوا، وإذا قيل لكم ادخلوا فادخلوا. (التفسير الكبير: ٢٥/٢٢٥).

النهي عن التأخر عن الموعد المحدد:

وعطف الدخول على الدعوة بالفاء التي تفيد الترتيب مع التعقيب فيه إشارة إلى النهي عن التأخر عن الموعد المحدد، فكما أنه لا يجوز الدخول قبل الوقت لما فيه من أذية أهل البيت، كذلك لا يجوز التأخر عن الموعد لأنه يشق على أهل البيت والحاضرين، ويجعل الجميع في قلق من طول الانتظار.

وجوب إجابة الدعوة:

وقوله تعالى: «إلا أن يؤذن لكم» يفيد الجواز، وقوله تعالى: «ولكن إذا دُعيتُم فادخلوا» يفيد الوجوب (التفسير الكبير ٢٥/٢٢٥). فإجابة الدعوة واجبة، وقد أكد على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «من دُعي إلى عُرس أو نحوه فليجب». (صحيح مسلم: ١٤٢٩).

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أجيبوا هذه الدعوة إذا دُعيتُم لها». قال نافع: وكان عبد الله بن عمر يأتي الدعوة في العُرس وغير العُرس، ويأتيها وهو صائم» (صحيح البخاري: ٥١٧٩). وعن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دُعي فليُجب، فإن شاء طعم، وإن شاء ترك» (صحيح مسلم: ١٤٣١). وعد النبي صلى الله عليه وسلم عدم إجابة الدعوة معصية، فقال صلى الله عليه وسلم: «ومن لم يُجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله». (صحيح البخاري: ٥١٧٧).

النهي عن الجلوس بعد الطعام:

ولما نهى الله تعالى عن الدخول قبل الموعد، وعن التأخر عنه، نهى عن الجلوس بعد الطعام لأن فيه أذية لأهل البيت، فقال تعالى: «فإذا طعمتُم فانتشروا». فأمر سبحانه وتعالى بعد الإطعام بأن يتفرق جميعهم وينتشروا، والمراد إلزام الخروج من المنزل عند انقضاء المقصود من الأكل.

وقوله تعالى: «ولا مُستأنسين لحديث» عطف على قوله تعالى: «غير ناظرين إناه»، أي غير ناظرين ولا مستأنسين، والمعنى المقصود: مستأنسين بالحديث، كما فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب. (الجامع لأحكام القرآن: ١٤/٢٢٦و٢٢٧).

فإن قيل: هل الجلوس بعد تناول الطعام حرام؟

فالجواب: دل قوله تعالى: «فإذا طعمتُم فانتشروا» على ضرورة الخروج بعد تناول الطعام، وهذا من الآداب الإسلامية التي أدب الله بها المؤمنين، فالمكث والجلوس بعد تناول الطعام ليس بحرام، ولكنه مخالف لآداب الإسلام، لما فيه من الإثقال على أهل البيت، إلا إذا كان الجلوس بإذن صاحب الدار، ولا سيما إذا كان يستأنس بإخوانه، ويفرح ببقائهم عنده. (روائع البيان: ٢/٣٥١).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعدُ:

بعد بيان منهج أهل السنة والجماعة ووسطيتهم في أبواب العقيدة، يحسن الانتقال إلى بيان قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد؛ إذ لم يكن تقريرهم للعقائد قائمًا على مجرد إثبات المسائل، بل على أصول وضوابط تحكم طريق الاستدلال عليها، وتضمن سلامة الفهم وصحة الاحتجاج. وقد تميز منهجهم في ذلك بالجمع بين تعظيم نصوص الوحي، وإعمال العقل الصحيح في موضعه، وردِّ المتشابه إلى المحكم، والجمع بين الأدلة، مع مراعاة صحة الدليل ووجه دلالته. ومن هنا تأتي أهمية الوقوف على أبرز هذه القواعد والضوابط، وبيان معالمها وأثرها في ضبط الاستدلال العقدي.

خصائص منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد:

امتاز أهل السنة والجماعة في مسائل الدين - أصوله وفروعه- بخصائص جعلتها أكثر موافقة للحق وإصابة له.

الخاصية الأولى: وحدة المصدر:

فوحدة المصدر من أميز مناهج أهل السنة والجماعة وخصائصهم، وهي: أن السلف الصالح (رضوان الله عليهم) كانوا لا يتلقون أمور دينهم إلا عن مشكاة النبوة، فلا يعتمدون على العقل أو الذوق أو الكشف، بل هذه الأمور إن صحت ووافقت الصحيح كانت مُعضَدة لحُجَة السَمع -ونعني بحجة السمع الكتاب والسنة- فكيف إذا عارضت هذه الأمور دلائل الكتاب والسنة، وكانت أكثرها جهالات وخيالات فاسدة.

قال الإمام الحافظ ابن عبد البر- رحمه الله تعالى-: "ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتابه الله، أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار

Upload by : altawhedmag.com

الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له، ولا يناظر فيه. يعني: يتلقى كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم بالقبول والتسليم".

الخاصية الثانية: المنهج توقيفي:

هو منهج يقوم على التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة، لا يردون منها شيئًا، ولا يعارضونها بشيء، لا بعقل، ولا ذوق، ولا منام، ولا غير ذلك، بل يقفون حيث تقف بهم النصوص، ولا يتجاوزونها إلى إعمال رأي أو قياس أو عقل أو ذوق؛ لأن هذا هو معنى أن منهج أهل السنة منهج توقيفي. لماذا؟ لأن هذا المنهج التوقيفي يعني أنه موقوف على الوحي الرباني، وقد التزم أهل السنة والجماعة بهذا المنهج، واستندوا على ذلك بقول الله- تبارك وتعالى-: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (الحجرات: ١).

الخاصية الثالثة: أنهم كانوا يتجنبون الجدل والخصومات في الدين:

وبناء على ذلك كان لهم موقف واضح وصريح في مسائل الاعتقاد، من الجدل والخصومات، حتى عدوا الكلام والتمحل فيها من البدع، التي شددوا النكير على مقترفيها، وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: «الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، وذلك كالكلام في رأي جهم الذي قد حمل لواء إنكار صفات الله عز وجل وكذلك الكلام في القدر وكل ما أشبه ذلك.

الخاصية الرابعة: الاتفاق في مسائل العقيدة:

لقد كان من ثمرة صحة المنهج وصدق قضاياه: أن يتفق أهل السنة على مسائل الاعتقاد مع اختلاف أعصارهم، وتباعد أمصارهم.

يقول الإمام الأصبهاني رحمه الله: ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بُلدانهم وزمانهم، وتباعُد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قلفإن من قواعد الاستدلال عند أهل السنة والجماعة: الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة.

(أ) فقه القاعدة:

إن أهل الإسلام جميعًا آمنوا أن الله تعالى ربهم ومليكهم، وأنه حكيم عليم، قدير رحمن رحيم، أرسل الرسل لهدايتهم، وأنزل معهم الكتاب والميزان؛ فما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله فالله أخبر به، وهو سبحانه إنما يخبر بعلمه، ويمتنع أن يخبر بنقيض علمه، وما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من حكم الله، والله أمر به، وهو العليم الحكيم. قال رب العالمين (تبارك تعالى): «لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» (النساء: ١٦٦).

وهذا يقتضي أن ما بلّغه الرسول صلى الله عليه وسلم حقّ من عند الله يوافق علم الله ومراده؛ فالواجب على كل أحد أن يقابل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه بالتصديق الجازم والتسليم المؤكد، وأن يقابل ما أمر به أو نهى عنه بالطاعة والانقياد؛ فمن قبل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما أخبر به، فعن الله قبل، ومن أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر به فقد أطاع الله.

(ب) أدلة هذه القاعدة:

أولا: القرآن الكريم:

أ- قال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (النساء: ٦٥)، فهذا قسم من الله تعالى بذاته الكريمة، مما يدل على عظم الأمر المقسَم عليه وخطورته، مع تقدم «لا» على القسم وهي تدل على النفي وتظهر قوة هذا القسم، ثم أيضًا أنها كررت بعد القسم؛ زيادة في التأكيد على النفي: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ» ثم قال بعد ذلك: «حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ» فنفى الله تعالى الإيمان عن كل أحد، وعلق حصوله ووقوعه على التحاكم للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في جميع الأمور الإخبارية والإنشائية.

ب- ما جاء في قول الحق تبارك وتعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ

Upload by : altawhedmag.com

الكتاب وأخرَ مُتشابهاتٌ فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب» (آل عمران: ٧)؛ ووجه الدلالة في هذه الآية: أن الله عز وجل أنزل الكتاب على ضربين: ضرب مُحكم يُعرف معناه وتدرك حقيقته، وهو غالب التنزيل، وضرب يُفهم معناه من لغة التخاطب؛ لكن تقصر الفهوم عن بلوغ كنهه وحقيقته، وهو المتشابه.

ثانيًا: السنة النبوية المطهرة:

ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أنه قال: «لقد جلست أنا وأخي مجلسًا، ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبًا، قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: مهلًا يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضًا، بل يصدق بعضه بعضًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه». وهذا الحديث يفيد: أن نؤمن ونسلم لجميع ما ورد عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فوائد الالتزام بهذه القاعدة:

الفائدة الأولى: تحقيق معنى الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخبر ويأمر به شرط في تحصيل الإيمان، قال تعالى: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا» (النساء: ٦٥).

الفائدة الثانية: مجانبة مسالك الأمم الضالة، الذين ردّوا على الرسل ما أخبروا به، واعترضوا عليهم بالاعتراضات الباطلة، كما قالت اليهود لموسى (عليه الصلاة والسلام): «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» (البقرة: ٥٥)، فكل من أوقف الإيمان بالنصوص على شيء خارج منها كان فيه شبه من اليهود، وكذا ممن قال: «لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله» (الأنعام: ١٢٤).

الفائدة الثالثة: بطلان كون العقل وحده يستقل في تحصيل المعرفة الدينية، أو كونه شرطًا في تحصيلها، بحيث لا نؤمن بالنص حتى يوافقه العقل فيما دل عليه، ويقال هذا أيضًا في الكشف والذوق، فالعقل ليس شرطًا في أن يفهم ما جاء عن الله تبارك وتعالى ويدرك حقيقته، بل عليه أن يسلم، وأن يكل علمه إن اختلط عليه فهم شيء من ذلك إلى عالمه.

الفائدة الرابعة: من جعل الإيمان بالنصوص موقوفًا على موافقة العقل أو الذوق، لا فرق عنده بين وجود الرسول صلى الله عليه وسلم ووجود أخباره، وبين عدم وجوده وعدم وجود أخباره، وكان ما يذكر من القرآن والحديث والإجماع في هذا الباب عديم الأثر عنده، (والعياذ بالله تعالى) ومعنى ذلك: أن من لم يسلم للنصوص، ويوافق لها، ويشترط أن يقبل عقله هذا النص أو يجده في قلبه أو يميل إليه بذوقه أو غير ذلك، إذن هذا لم يسلم في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم ولا فرق عنده بين إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم من عدمه؛ لأن إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم عنده لم يستفد من ورائه شيئًا.

الفائدة الخامسة: ثبوت عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع ما يُبلّغه ويخبر به، حيث إنه لم يأمر إلا بما أمر به الله تبارك وتعالى ولم يخبر إلا بما أخبر به الله تبارك وتعالى فيستحيل في حقه إذن صلى الله عليه وسلم أن يخبر بشيء يكون مخالفًا للحق، قال تعالى عنه: «ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى» (النجم: ٢: ٤).

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

أسئلة القراء عن الأحاديث

أجاب عنها الشيخ/ مجدي قاسم (رحمه الله)
(عدد رمضان ١٤١٥هـ)

القارئ: عبد الرحمن عبد الله من القطامية- القاهرة.

يسأل عن الحديث الذي رواه السائب بن خلاد رضي الله عنه أن رجلاً أمّ قومًا فبصق في القبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يصلي لكم). فأراد بعد ذلك أن يصلي بهم فمنعوه وأخبروه بقول النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (نعم، إنك آذيت الله ورسوله).

والحديث يحتمل التحسين.

رواه أبو داود (ح ٤٨١)، وأحمد (٤/ ٥٦)، وابن حبان (ح ١٦٣٦) وفي إسناده صالح بن خيوان، ويُقال: حَيوان، وثّقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي إسناده صحيح.

- كما يسأل عن حديث سَمُرة بن جُندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل).

والحديث في إسناده ضعف.

رواه أبو داود (ح٣٥٤)، والترمذي (٤٩٧)، والنسائي (٣/ ٩٤)، وأحمد (٥/ ١٥، ١٦،٢٢) وقال النسائي: (روى الحسن عن سمرة كتابًا ولم يسمع الحسن من سمرة إلا حديث العقيقة)، وقال الترمذي: (وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة وأنس) ثم قال: (حديث سمرة حديثٌ حسن، وقد رواه بعض أصحاب قتادة عن قتادة عن الحسن عن سَمُرة بن جُندب، ورواه بعضهم عن قتادة عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا. وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الترمذي: (وهذا الحديث اختلف فيه على قتادة كما ترى، وقد نقله الشافعي في الرسالة معلّقًا بدون إسناد (رقم ٨٤٥) وتكلمنا عليه في شرحنا عليها) وهناك أحال على نيل الأوطار ونقل قول الحافظ في الفتح (٢/ ٣٠٠- ٣٠١) (ولهذا الحديث طرق، أشهرها وأقواها رواية الحسن عن سمرة، أخرجها أصحاب السنن الثلاثة وابن خزيمة وابن حبان، وله علتان: إحداها أنه من عنعنة الحسن، والأخرى أنه اختلف فيه، وأخرجه ابن ماجة من حديث أنس، والطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة، والبزار من حديث أبي سعيد، وابن عدي من حديث جابر، وكلها

Upload by : altawhedmag.com

ضعيفة).

ولذا قال الألباني في المشكاة (ح٥٤٠): (ورجاله ثقات غير أنه من رواية الحسن البصري عن سَمُرة وهو مدلّس، ولم يصرح بسماعه من سمرة، لكن الحديث قوي، لأن له شواهد كثيرة ذكرتُ بعضها في صحيح السنن رقم(٣٨٠)).

أما عن سماع الحسن من سمرة ففيه ثلاثة مذاهب: سماعه مطلقًا، لم يسمع منه شيئًا، سماعه حديث العقيقة فقط.

وانظر في ذلك (نصب الراية) للزيلعي (١/ ٨٩: ٩٠)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٩).

- ويسأل القارئ: الشاذلي عبد العزيز محمد المطيري من محافظة قنا- قوص- المسيد- عن حديث: (من زار قبري وجبت له شفاعتي).

وهذا الحديث له عدة طرق عن ابن عمر كلها ضعيفة.

فقد رواه ابن عدي في الكامل (٦/٣٥١)، والدولابي في الكنى والأسماء (٢/ ٦٤)، وأيضًا ابن خزيمة في مختصر المختصر كما في ميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٢٢٦) من طريق محمد بن إسماعيل بن سمرة عن موسى بن هلال عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر، وقال ابن عدي: (وقد روى غير ابن سمرة هذا الحديث عن موسى بن هلال فقال عن عبيد الله عن نافع.. ثم قال: وعبد الله أصح، ولموسى غير هذا وأرجو أنه لا بأس به) يعني أنه الصواب أن الحديث فيه عبد الله العُمري المكبر وهو ضعيف لا عبيد الله الثقة.

وهذا هو الذي رجّحه ابن خزيمة ثم رجح أنه من رواية عبد الله بن عمر العمري المكبر الضعيف لا المصغر الثقة، وصرح بأن الثقة لا يروي هذا الخبر المنكر.

كما في تلخيص الحبير لابن حجر (٢/ ٢٦٧) ونقل جزم الضياء في الأحكام وقبله البيهقي بأن عبد الله بن عمر المذكور في هذا الإسناد هو المكبر.

وقد أنكر هذا الحديث الذهبي في الميزان، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٤/ ١٧٠) وقال: (ولا يصح حديثه، ولا يتابع عليه) ثم ذكر الحديث ثم قال: (والرواية في هذا الباب فيها لين) وقد تعقبه الحافظ في تلخيص الحبير وذكر له متابعات منها رواية للطبراني من طريق مسلمة بن سالم الجهني عن ابن عمر.

وقد رواه البزار كما في كشف الأستار (٢/ ٥٧ ح ١١٩٨) من طريق عبد الله بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر، وقال البزار: (عبد الله بن إبراهيم لم يتابع على هذا، وإنما يكتب ما يتفرد به) وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢): (رواه البزار وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف) وقد قال بذلك الحافظ أيضًا في التلخيص.

وقد رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص ١٢: ١٣) وعنه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٥) بإسناده عن رجل من آل عمر عن عمر، وقال: (في إسناده مجهول).

Upload by : altawhedmag.com

وفي الباب عن أنس بإسناد ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور كما في تلخيص الحبير، ثم قال الحافظ: (فائدة: طرق هذا الحديث كلها ضعيفة لكن صححه من حديث ابن عمر أبو علي ابن السكن في إيراده إياه في أثناء السنن الصحاح له، وعبد الحق (أي الإشبيلي) في الأحكام في سكوته عنه، والشيخ تقي الدين السبكي من المتأخرين باعتبار مجموع الطرق...) اهـ.

- ونفس القارئ يسأل عن حديث: (من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله تعالى عنهم يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات).

والحديث لم أقف عليه، وأمارات الوضع عليه ظاهرة، والله أعلم!

- ونفس القارئ يسأل عن حديث: (إن الله تعالى وكّل بقبري ملكًا أعطاه أسماع الخلائق، فلا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة إلا بلغني باسمه واسم أبيه).

والحديث إسناده ضعيف.

رواه البزار (٤/ ٤٧ح ٣١٦٢، ٣١٦٣) كما رواه الطبراني في المعجم الكبير كما في الترغيب والترهيب للمنذري (٢/ ٢٨٠) ومجمع الزوائد (١٠/ ١٦٢)، كما رواه أبو الشيخ الأصبهاني في (العظمة) (٢/ ٧٦٢؛ ٧٦٣ ح ٣٣٩)أورده البخاري في التاريخ الكبير كما عزاه السخاوي في (القول البديع) (ص١١٣) إلى الحارث في مسنده وابن أبي عاصم كما عزاه محقق كتاب (العظمة) إلى أبي علي الطوسي في مختصر الأحكام، وابن الجراح في أماليه، وأبي القاسم التيمي في الترغيب والترهيب كما في القول البديع.

كلهم من طريق نعيم بن ضمضم عن عمران الحميري عن عمار بن ياسر، والحديث ضعفه الحافظ المنذري في الترغيب حيث قال: (رووه كلهم عن نعيم بن ضمضم وفيه خلاف عن عمران بن الحميري ولا يُعرف)، وقال الهيثمي في المجمع: (رواه البزار وفيه ابن الحميري واسمه عمران يأتي الكلام عليه بعده، ونعيم بن ضمضم ضعفه بعضهم، وبقية رجاله رجال الصحيح) ثم ذكر رواية الطبراني، ثم قال: (رواه الطبراني ونعيم بن ضمضم ضعيف، وابن الحميري اسمه عمران، قال البخاري: لا يتابع على حديثه، وقال صاحب الميزان: لا يعرف، وبقية رجاله رجال الصحيح) اهـ.

ولكن الألباني حسّن الحديث في صحيح الجامع (ح٢١٧٦) لشواهده، حيث جعله في السلسلة الصحيحة رقم (١٥٣٠) شاهدًا لحديث أبي بكر الصديق الذي رواه الديلمي في مسند الفردوس، وقد ضعّف إسنادَه السخاوي في القول البديع (ص١١٧)، وقال الألباني بعد ذكره للحديثين الضعيفين عن عمار وأبي بكر: (فالحديث بهذا الشاهد وغيره مما في معناه حسن إن شاء الله تعالى).

والله تعالى أعلم.

Upload by : altawhedmag.com

صلاة الخسوف بعد بزوغ الفجر!!

إعداد
د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وبعد:

فإنه بعد أداء صلاة الفجر منذ أيام خلت (في آخر شهر أغسطس ٢٠٢٦م، ربيع أول ١٤٤٨هـ)، وبعد انصرافي إلى منزلي تنامى إلى سمعي من خلال مكبرات الصوت بأحد المساجد تلاوة للقرآن الكريم، رغم انتهاء الصلاة منذ مدة خلت، بل إن النهار قد أسفر جدًا والشمس قد قاربت على البزوغ.

وطالت القراءة، ولكن سرعان ما زال هذا التعجب حينما تذكرت ما تم الإعلان عنه من أنه سيحدث خسوف جزئي للقمر بعد بزوغ الفجر، وهو ما قام معه البعض بدعوة الناس لصلاة الخسوف جماعة في المساجد.

وتذكرت ما حدث منذ سنوات خلت حينما هممت بالصعود إلى المنبر لأداء صلاة الجمعة، وإذا بالبعض يتساءل: ألم نصلي صلاة الكسوف؟ فأجبته ولِمَ؟ قال: لأنه تم الإعلان عن حدوث كسوف للشمس وقت صلاة الجمعة، فأجبته ولكنني قادم إلى المسجد والشمس بازغة، وانظر خلفك تجد الشمس ساطعة، فهل نصلي صلاة الكسوف مع طلوع الشمس ولم نره؟ ثم أليست صلاة الجمعة ذكرًا لله عز وجل؟

تذكرت ذلك، وأنا أرى صلاة الخسوف بعد بزوغ الفجر وأداء صلاة الصبح وقرب شروق الشمس؛ لأتساءل هل رأى من يصلي الآن القمر وتيقن من حدوث الخسوف حتى يصلي، إن العبرة هي بالرؤية البصرية، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يصل صلاة الكسوف إلا لما رأى الناس انكساف الشمس ظاهرًا جليًا؛ حيث ورد أنها كانت سوداء، ففي حديث سمرة بن جندب الذي أخرجه النسائي وأبو داود وأحمد، وابن خزيمة في صحيحه قال: «بينا أنا يومًا وغلام من الأنصار، نرمي غرضين لنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كانت الشمس قيد رمحين أو ثلاثة في عين الناظر من الأفق اسودت، فقال أحدنا لصاحبه: انطلق بنا إلى المسجد، فوالله ليحدثن شأن هذه الشمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته حدثًا، قال: فدفعنا إلى المسجد، قال: فوافينا رسول الله صلى الله

Upload by : altawhedmag.com

عليه وسلم حين خرج إلى الناس قال: فاستقدم فصلى، فقام كأطول قيام قام بنا في صلاة قط، ما نسمع له صوتا.....».

وفي حديث عن عائشة، وابن عباس في الصحيحين وورد أيضًا عند البخاري عن ابن عمر، وعن أبي مسعود البدري، وأبي بكرة في صحيح البخاري، وعن جابر عند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد، فإذا رأيتموهما فصلوا وادعوا».

فلا بد أن يُرى خسوف القمر بالعين المجردة، فالعبرة بالرؤية وليس بحسابات الفلك، وذلك على الرغم من أن حسابات الفلك بلغت درجة عالية من الدقة، وهذا أمرٌ مُشاهَد لا ينكره مُنصف، وهذا أمر عُرف منذ آلاف السنين كما هو مشاهد في ظاهرة تعامد الشمس على ما يسمى بقدس الأقداس في معبد الكرنك، والتي تحدث في ٢١ ديسمبر من كل عام، تزامنًا مع الانقلاب الشتوي؛ حيث تمكن المصريون القدماء من جعل أشعة الشمس تتعامد على في معبد الكرنك على وجه معبودهم آمون.

ويوجد بمصر أكثر من ٢٠ ظاهرة تعامد الشمس في معابد مختلفة في الأقصر وأسوان وغيرها، وهو ما يؤكد على مدى تقدُّم هذه العلوم في زمنهم.

وعلى الرغم من دقة حسابات الفلك فإنه لا يثبت بها رؤية الهلال، فلو حالت السحب دون رؤية الهلال، وكانت الحسابات الفلكية تؤكد مولده، فالعمل يكون بحديث أبي هريرة، وبحديث عبد الله بن عمر فيجب إكمال الشهر ثلاثين يومًا وقد حدث في رؤية هلال شوال لعام ١٤٤٦هـ أن كانت حسابات الفلك تؤكد أن يوم السبت ٢٩ رمضان ١٤٤٦هـ الموافق ٢٩ مارس ٢٠٢٥ هو المتمم لشهر رمضان، ومن ثم يكون العيد يوم الأحد، ولكن تعذرت رؤية الهلال، ولذا انتهت دار الإفتاء إلى وجوب إتمام شهر رمضان ثلاثين يومًا، وهذا أمرٌ محمود يؤكد على أن العبرة ليست بالحسابات الفلكية رغم التأكيد على دقتها؛ وانما بالرؤية البصرية. وقد أحسن السيد رئيس مجلس الوزراء المصري حينما أصدر قرارًا بأن تكون الفترة من يوم السبت الموافق ٢٩ من شهر مارس عام ٢٠٢٥ ميلادية حتى يوم الثلاثاء الموافق ١ من شهر أبريل عام ٢٠٢٥ ميلادية إجازة رسمية مدفوعة الأجر للعاملين في الوزارات والمصالح الحكومية والهيئات العامة ووحدات الإدارة المحلية وشركات القطاع العام وشركات قطاع الأعمال العام، وذلك بمناسبة عيد الفطر المبارك، كما نص القرار على أنه إذا أسفرت الرؤية الشرعية لهلال شهر شوال ١٤٤٦ هجرية عن أن يوم الاثنين الموافق ٣١ من مارس عام ٢٠٢٥ ميلادية هو أول أيام شهر شوال ١٤٤٦ هجرية فتمتد الإجازة حتي يوم الأربعاء الموافق ٢ من أبريل عام ٢٠٢٥، ليؤكد بذلك على أن العبرة هي بالرؤية الشرعية (البصرية) وليس بالحسابات الفلكية.

فكيف نصلي صلاة الخسوف وهذا الخسوف جزئي، كما أننا لم نره بأعيننا، ثم كيف نصليها (وهي صلاة ليلية) بعدما طلع الفجر وانتهينا من صلاة الفجر منذ أمد.

وهذه التساؤلات التي دارت بخاطري دفعتني إلى أن أتناول هذا الأمر، رغم أنني كنت أنتوي أن أكمل حديثي حول الخوارج الجدد غلاة الحدادية الذي كفّروا أغلب علماء الأمة ومنهم أئمة المذاهب الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، ولكني آثرت الحديث عن هذه النازلة أولًا حتى لا يكون الواقع في واد ونحن في واد آخر، وهذا أمر مُلاحَظ في أغلب المجلات الدينية والتي يفر كُتّابها إلى الماضي رغبة في إيثار السلامة، وتجنبًا لحمل كلامهم على أيّ محمل قد يثير لبسًا أو يحدث

Upload by : altawhedmag.com

ضغينة في نفوس البعض، حتى صارت هذه المجلات وكأنها كُتبت في زمن غابر غير الزمن الحاضر، ولذا نعرض في هذا المقال لهذه المسألة ولما تثيره من أحكام فقهية؛ مستعينًا بالله عز وجل على إدراك الصواب ومجانبة الزلل.

كسوف الشمس وخسوف القمر:

كسوف الشمس: هو ميلها إلي السواد بسبب وقوع القمر بينها وبين الأرض، أما خسوف القمر: فهو ذهاب ضوئه بسبب وقوع الأرض بينه وبين الشمس.

وكسوف الشمس وخسوف القمر آيتان من آيات الله تعالى، والله سبحانه وتعالى هو القائل: «وما نُرسل بالآيات إلا تخويفًا».

وكان أهل الجاهلية يعتقدون أن لهذه الكواكب تأثيرًا على الأرض، فكانوا يعتقدون أن الكسوف يُوجب حدوث تغيُّر في الأرض من موت أو ضرر، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن أن هذا اعتقاد باطل، وأن الشمس والقمر خلقان من خلق ربنا سبحانه وتعالى، وأنهما آيتان من آيات الله الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته؛ وعلى تخويف العباد من بأسه وسطوته، وأنهما مُسخَّران بأمر الله، وليس لهما سلطان في غيرهما، أو التصرف في أمر من الأمور فكل ذلك بيد الله الذي بيده مقادير السموات والأرض. يقول تعالى: «ومِنْ آياته اللَّيْل والنَّهارُ والشَّمْسُ والقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ ولا لِلْقَمَرِ واسْجُدُوا لِلَّه الَّذي خَلَقَهُنَّ إنْ كُنْتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونَ» (فصلت: ٣٧).

لذلك حينما انكسفت الشمس قدرًا يوم وفاة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ظن الناس أن ذلك لوفاته؛ فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن المغيرة بن شعبة: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته؛ فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله»، وفي رواية: «فصلوا وادعوا حتى يكشف ما بكم»، فرغم حزن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه شديد الحرص على التوحيد وعلى سلامة عقائد المسلمين وتنقيتها من أيّ شائبة.

كيفية صلاة الكسوف:

صلاة الكسوف هي صلاة سببها انحجاب ضوء الشمس وميلها إلي السواد بسبب وقوع القمر بينها وبين الأرض، وهي صلاة ذات كيفية مخصوصة عند جمهور الفقهاء؛ فهي ركعتان؛ في كل ركعة قراءتان وركوعان، يقرأ في الأولى الفاتحة، وسورة طويلة، ثم يركع طويلًا، ثم يرفع، فيسمع، ويحمد، ولا يسجد، بل يقرأ الفاتحة وسورة طويلة دون الأولى، ثم يركع، ثم يرفع، ثم يسجد سجدتين، ثم يصلي الركعة الثانية كالأولى، ولكن دونها في كل ما يفعل.

وذهب أبو حنيفة، وسفيان الثوري، وابراهيم النخعي، والحسن إلى أن صلاة الكسوف ركعتان مثل صلاة الصبح واستندوا في ذلك إلى الأحاديث الواردة عن أبي بكرة وسمرة بن جندب وعبد الله بن عمر والنعمان بن بشير وقبيصة الهلالي وعبد الرحمن بن سمرة، كما استدلوا بفعل عبد الله بن الزبير حيث انكسفت الشمس في عهده (وقت أن كان خليفة بالحجاز ومصر والعراق)؛ فصلى ركعتين كصلاة الصبح.

بينما استدل جماهير الفقهاء بحديث عائشة المتفق عليه وفيه صفة صلاة الكسوف: «خَسَفَتِ الشَّمْسُ في حَياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَخَرَجَ إلَى المَسْجِدِ، فَصَفَّ النَّاسُ وَراءَهُ، فَكَبَّرَ، فَاقْتَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قِراءَةً طَويلَةً، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَويلًا، ثُمَّ قالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقامَ ولَمْ يَسْجُدْ، وقَرَأَ قِراءَةً طَويلَةً، هي أدْنَى مِنَ القِراءَةِ الأُولَى، ثُمَّ كَبَّرَ ورَكَعَ رُكُوعًا طَويلًا، وهُوَ أدْنَى مِنَ الرُّكُوعِ الأوَّلِ، ثُمَّ قالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا ولَكَ الحَمْدُ».

Upload by : altawhedmag.com

ثُمَّ سجد، ثُمَّ قال في الرَّكعة الآخرة مثل ذلك». وأخرج الشيخان عن عروة بن الزبير عن ابن عباس مثله.

وأورد البخاري في صحيحه أن ابن شهاب الزهري قال لعروة بن الزبير: إن أخاك يوم خسفت بالمدينة، لم يزد على ركعتين مثل الصبح؟ قال: أجل؛ لأنه أخطأ السُّنة. ورد الكوفيون على ذلك بأن عبد الله بن الزبير صحابي وكان فعله بمحضر العديد من الصحابة، ولم يُنكر عليه. أما عروة فهو تابعي، وقوله: «أخطأ السنة» له حكم المرسل. ولكن ذلك مردود بالحديث الذي يرويه عروة عن أم المؤمنين عائشة، والذي يبين كيفية صلاة الكسوف.

وقد ذهب ابن عبد البر في الاستذكار إلى أن صلاة الكسوف تكررت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد تكون هيئتها تعددت وكل مباح حيث قال: «.... وإنما يصير كل عالم إلى ما روى عن شيوخه، ورأى عليه أهل بلده، وقد يجوز أن يكون ذلك اختلافًا بإباحة وتوسعة؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الكسوف مرارًا، فحكى كل ما رأى، وكل صادق، قد جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كالنجوم، فكلهم في النقل من اقتدى به اهتدى....».

هل يجهر بالقراءة في صلاة الكسوف؟

ذهب جمهور الفقهاء أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، والليث بن سعد، وغيرهم إلى أن القراءة في صلاة الكسوف تكون سرًا فلا يُجهر فيها بالقراءة، واستندوا في ذلك إلى أحاديث عديدة؛ منها حديث ابن عباس في هذا الباب قوله نحو من سورة البقرة دليل على أن القراءة كانت سرًا، وقد روي عن ابن عباس أنه قال في صلاة الكسوف كنت جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما سمعت منه حرفًا.

وأخرج النسائي والترمذي عن سمرة بن جندب قال: صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم في كسوف لا نسمع له صوتًا. وقال الترمذي عنه: حديث سمرة حديث حسن صحيح. وورد عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: «... فقام فأطال القيام فحزرت أنه قرأ سورة البقرة...».

وقد ورد عن العديد من التابعين قولهم صلاة النهار عجماء (صحيح ابن خزيمة، ومصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة).

وذهب الحنابلة وصاحبا أبي حنيفة (أبو يوسف ومحمد بن الحسن) إلى الجهر بالقراءة في صلاة الكسوف واستندوا إلى ما ورد أن عليًا جهر بالقراءة في الكسوف. كما استندوا إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر في صلاة الخسوف بقراءته فصلى أربع ركعات في ركعتين وأربع سجدات. ولكن حمل المخالفون ذلك على أن ما روته أم المؤمنين عائشة كان في صلاة خسوف القمر وليس كسوف الشمس. ولكن لم ينقل أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع الناس لصلاة الخسوف والتي لا تصلى إلا ليلًا.

ونرى أن الراجح هو أن صلاة الكسوف يُسر فيها بالقراءة، لما سلف؛ ولأنه لم يُنقل بما قرأ النبي في كل ركعة مع توافر داعي النقل، فضلًا عن أنه لم يُنقل أنه جهر بالقراءة كما حدث في صلاة الاستسقاء؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عباد بن تميم، عن عمه (عبد الله بن زيد بن عاصم) أنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي، فتوجه إلى القبلة يدعو، وحوّل رداءه، ثم صلى ركعتين، جهر فيهما بالقراءة. وبوب البخاري لذلك بقوله: «باب الجهر بالقراءة في الاستسقاء».

وما ورد عن عائشة في صحيح مسلم يعارضه ما ورد في الصحيحين من تحريزها القراءة، وهذا دليل على أنها

Upload by : altawhedmag.com

لم تسمعها لأنها لو سمعتها لم تقدرها بغيرها. وما ورد عن العديد من الصحابة أنه لم يجهر بالقراءة.

صلاة الخسوف:

لا يخفى فيما سلف أننا عبرنا بمصطلحين مختلفين هما: كسوف الشمس، وخسوف القمر، وذلك للتفرقة بينهما لأن بعض الفقهاء عبر بالخسوف عن كسوف الشمس فقالوا انخسفت الشمس، وهو ما أدى إلى حدوث لبس بين صلاة الكسوف وصلاة الخسوف، وزاد من ذلك جمع بعض الفقهاء بين الصلاتين في أحكامهما، رغم وجود تباين بينهما. وجعل جانب من الفقهاء صفتها وهيئتها كصلاة الكسوف.

رغم أنه لم يرد أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخسوف، ولم يرد أنه جمع الناس لصلاتها، ولكنهم بما ورد في حديث عائشة وابن عباس أن الشمس والقمر آيتان.

كما استدلوا بحديث ابن عباس الذي أخرجه البيهقي في سننه أنه صلى بأهل البصرة في خسوف القمر ركعتين، لكن هذا الحديث لا يصح لضعف إسناده. وبما أورد ابن حبان في كتابه الثقات أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى لخسوف القمر... ولكن هذا الحديث معضل منقطع، فقد أورده ابن حبان دون إسناد، وقد ضعفه ابن حجر في الفتح.

ومذهب الحنيفة أنه يُصلى لخسوف القمر فرادى، ويصلى ركعتين كسائر النوافل (وليس على هيئة صلاة الكسوف)؛ فلا جماعة في صلاة الخسوف عندهم.

وقد ورد في البناية شرح الهداية للبدر العيني قوله: «... وليس في كسوف القمر جماعة لتعذر الاجتماع في الليل أو لخوف الفتنة، وانما يصلي كل واحد بنفسه...».

ويقول ابن مازة في المحيط البرهاني: «... وعلماؤنا رحمهم الله قالوا: بأن كسوف القمر يكون بالليل، فيشق على الناس الاجتماع بالليل، وربما تُخاف الفتنة؛ ولأن كسوف القمر كان على عهد رسول الله عليه السلام ككسوف الشمس بل أكثر، فلو كان صلى بجماعة لنُقل ذلك نقلًا مستفيضًا كما نقل في كسوف الشمس، ولأن الأصل في التطوعات ترك الجماعة فيها ما خلا قيام رمضان لاتفاق الصحابة عليه، وكسوف الشمس لورود الأثر به...».

وفي المدونة قال مالك في صلاة خسوف القمر: يصلون ركعتين ركعتين كصلاة النافلة، ويدعون ولا يجمعون، وليس في خسوف القمر سُنة ولا جماعة كصلاة خسوف الشمس.

ونقل ابن عبد البر عن الليث بن سعد أنه قال: «لا يجمع في صلاة القمر، ولكن الصلاة فيها كهيئة الصلاة في كسوف الشمس».

وقفة مع وقت صلاة الخسوف:

أشرت فيما سلف إلى أن صلاة الخسوف كانت بعد أداء صلاة الفجر بوقت ليس بالقليل، ولما كانت الليلة في التقويم الهجري/ القمري تكون سابقة على النهار، وتبدأ الليلة بدخول الليل والذي يكون بغروب الشمس (أي: بسقوط قرص الشمس الأحمر خلف الشفق)، ويستمر الليل حتى طلوع الفجر الصادق الذي لا يعقبه ظلمة وانما شروق الشمس، ومن ثَمَّ فإنه بارتفاع الأذان لصلاة الفجر يكون الليل قد انصرم، ويبدأ يوم جديد، وبانتهاء الليل يكون سلطان القمر قد خرج، فلا محل لصلاة الخسوف؛ لأنها تُصلى ليلًا وليس نهارًا، وهذا مما لا مراء فيه، فإنه ببزوغ الفجر يمسك الصائم عن المفطرات، وهو إنما يصوم نهارًا ويفطر ليلًا، ولم يقل أحد من أهل القبلة أنه لو رأى القمر بعد طلوع الفجر فإنه يأكل ويشرب حتى يغيب القمر!

وهو ما يعني أنه لا محل لصلاة الخسوف بعد طلوع الفجر.

Upload by : altawhedmag.com

ونؤكد على أنه لو كان في صلاة الخسوف جماعة كما في كسوف الشمس لنُقل هذا الأمر مفصلًا.

ولعله من نافلة القول أن نشير إلى اختلاف الفقهاء بشأن صلاة الكسوف في الأوقات التي تُكره فيها الصلاة؛ حيث ذهب الحنفية والحنابلة، إلى أنها لا تُصلى في الأوقات التي ورد النهي عن الصلاة فيها، مثلها في ذلك كسائر الصلوات، ويجعل مكانها تسبيحًا، وتهليلًا، واستغفارًا.

وذهب الشافعية إلى أنها تُصلى في كل الأوقات، كسائر الصلوات التي لها سبب متقدم أو مقارن، كالمقضية وصلاة الاستسقاء، وركعتي الوضوء، وتحية المسجد.

وقفة مع استخدام مكبرات الصوت لبث الصلاة:

دأب البعض على استخدام مكبرات الصوت في الصلوات، ويكثر ذلك في صلاة التراويح، ويكون في أحيان أخرى في الصلوات الجهرية خاصة الفجر؛ حيث يتعمد بعض الأئمة إذاعة الصلاة من مكبرات الصوت، حرصًا منهم على إيصال أصواتهم من خلال مكبرات الصوت إلى أقصى بقعة يمكن أن يصل الصوت إليها، وهو لا ينتبه إلى تشويشه على المصلين في بيوتهم وخاصة من النساء، وعلى المرضى وأصحاب الحاجات، هذا بالإضافة إلى غير المسلمين الذين يصر هؤلاء الأئمة على إسماعهم الصلاة من مبتدأها إلى منتهاها؛ منذ التكبير وحتى التسليم.

وفي هذا من الإيذاء ما لا يخفى، فضلًا عما فيه من مخالفة بينة لتعليمات وزارة الأوقاف بشأن قصر استخدام مكبرات الصوت على رفع الأذان فقط.

وقد وصل الأمر إلى من حرص هؤلاء الأئمة الشديد على الصلاة من خلال مكبرات الصوت الخارجية إلى حد أنه يُخشى عليهم من دخول الرياء والسمعة إلى عملهم. فهو يصلي بمن في المسجد، فلماذا يحرص على وصول صوته لأهل الناحية جميعًا؟! وما يضيره لو وصل صوته إلى مسامع المصلين خلفه فقط؟ وهل هو في مأمن من أن يصيبه الشرك الخفي (الرياء)- وهو أخفى من دبيب النمل- فيحبط عمله ويذهب أجره سدًى؟!

ولذا ينبغي دومًا مراجعة النفس فإن الفساد إليها سريع؛ والعطب منها قريب، والمولى سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، نسأل الله تعالى ألا نشرك به شيئًا نعلمه ونستغفره لما لا نعلمه.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي إلى رحمة الله تعالى الشيخ ربيع مختار جزر، عضو جمعية أنصار السنة، فرع بطره، محافظة الدقهلية.

وقد قضى عمره رحمه الله في خدمة الدعوة، والحرص على الجمعية، واستضافة الدعاة، وإقامة حلقات العلم وتحفيظ القرآن، وكفالة الأيتام والأرامل، وإعانة المحتاجين وذوي الحاجات.

وكان يقوم رحمه الله بخدمة المسجد، ويحرص على نظافته حتى آخر لحظة من عمره.

فنسأل الله تعالى له الرحمة والمغفرة، وأن يسكنه الفردوس الأعلى.

Upload by : altawhedmag.com

المؤمن القوي

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كُلٍّ خيرٌ. احرص على ما ينفعك، واستعنْ بالله ولا تعجزْ وإن أصابك شيءٌ فلا تقُلْ: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا ولكن قُلْ: قدرُ الله وما شاءَ فعلَ فإنَّ (لو) تفتحُ عملَ الشيطانِ.

رواه مسلم - آخر كتاب القدر - حديث رقم - ٢٦٦٤، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله. وأخرجه ابن ماجه (٧٩)، وأحمد (٨٨٢٩).

وفي لفظ ابن ماجه: «ولكن قل: قدَّرَ الله وما شاءَ فعَلَ» بتشديد الدال وفتح الراء جملة فعلية.. بينما هي في رواية مسلم: جملة اسمية بفتح القاف والدال وضم الراء.

شرح الحديث:

(المؤمنُ القويُّ): أول ما يتبادر إلى الذهن من معاني القوة: قوة الإيمان: فالإيمان عند أهل السنة قول وعمل ويزيد وينقص، ودخول العمل في الإيمان يشمل كل عمل صالح يتقرّب به المؤمن إلى ربه عز وجل، وكذلك كل عمل ينصر به المؤمن دين الله عز وجل كالجهاد باليد وباللسان وبالسنان.

قال النووي في شرح مسلم: المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة.

وقال غيره: إن المؤمن القوي في إيمانه، والقوي في بدنه وعمله خيرٌ من المؤمن الضعيف في إيمانه أو الضعيف في بدنه وعمله؛ لأن المؤمن القوي ينتج ويعمل للمسلمين وينتفع المسلمون بقوته البدنية

Upload by : altawhedmag.com

وبقوته الايمانية، وبقوته العلمية نفعًا عظيمًا في الجهاد، وفي تحقيق مصالح المسلمين، والدفاع عن المسلمين. وهذا ما لا يملكه المؤمن الضعيف. فمن هذا الوجه كان المؤمن القوي خيرًا من المؤمن الضعيف.

(وفي كلٍّ خير): فالايمان كله خير، المؤمن الضعيف فيه خير؛ لأن فيه إيمانًا بالله وبرسوله، ولا يكاد يخلو من عمل صالح ونافع؛ ولكن المؤمن القوي أكثر خيرًا منه لنفسه ولدينه ولأهله ولأمته.

ففيه الحث على القوة. ودين الإسلام هو دين القوة والعزة، يطلب من المسلمين القوة في كل شيء. قال الله سبحانه وتعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ»: القوة في الايمان والعقيدة، والقوة في العلم والعمل، والقوة في الأبدان. فالمطلوب من المسلم أن يكون قويًا في إيمانه وجميع مجالات حياته.

والقوة في الجهاد والقتال هي دقة الرمي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي" رواه مسلم.

ويترتب على ذلك أن محبة الله للمؤمنين تكون على قدر إيمانهم، فكلما كان المؤمن أقوى في إيمانه وعمله الصالح كان أحب إلى الله تعالى من غيره من المؤمنين، وهذا ما يدل عليه أفعل التفضيل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "خيرٌ وأحبّ إلى الله": فهو بقوة إيمانه أفضل من غيره من المؤمنين وأحب إلى الله عز وجل من غيره من المؤمنين ممن هم دونه في ذلك: فالله سبحانه وتعالى «يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»، ويحب المستعينين به والمتوكلين عليه «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ»، ويحب أهل العدل والإنصاف «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»، وَيُحِبُّ الصَّابِرِينَ «وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ»، ويحب المتقين «فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ»، ويحب المتمسكين بهدي النبي صلى الله عليه وسلم وسُنّته العاضّين عليها بالنواجذ «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ» (آل عمران: ٣١).

والله تعالى يحب الحنيفية السمحة، ويكره الإصر والأغلال، ومن أجل ذلك رفع عنا الآصار والأغلال وما جعل علينا في الدّين من حرج.

وأحب ما يتقرب به إليه سبحانه: الفرائض، ثم النوافل بعد ذلك.

وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّت.

وأحب الأعمال إلى الله: الصلاة على وقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وأحب الأعمال إلى الله سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا.

أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس.

أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خُلقًا.

أحب القلوب إلى الله ألينها وأرقها.

وأحب الدموع إلى الله دمعة من خشيته.

وأحب الآثار إليه أثر في طاعته تمشي إلى جمعة أو جماعة أو مجلس علم وذكر أو طاعة وبر وصلة.

والله تعالى يحب الحياء والستر، ويحب التعفف.

والله يغار ويحب غيرة المؤمن.

ويحب أن يرى أثر النعمة على العبد حتى يأتيه الفقراء ويقصدونه لأجل الصدقة وقضاء ما يحتاجونه.

والله كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، وهو سبحانه عفو يحب العفو (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)، كما في الحديث.

والله يحب الرفق في الأمر كله.

والله يحب الوتر، فلا تترك صلاة الوتر، واقطع طعامك على وتر، وشرابك على وتر، واستجمارك على وتر، وهكذا..

ويحب الإحسان وكتبه على كل شيء

Upload by : altawhedmag.com

ويحب المدح فامدحه، وأكثر من مدحه (ليس أحد أحب إليه المدح من الله)، كما في الحديث.

ويحب الإعذار، وإقامة الحجة، وأن لا يبقى لأحد مُستمسك يدرأ به عن نفسه، ومن أجل ذلك أنزل الكتب، وأرسل الرسل.

ويحب معالي الأعمال، ومعالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها.

ويحب العبد التـ ـخفي، يُخفي نافلة الليل، والصدقات الـ ـ والاستغفار بالأسحار.

ويحب سمح البيـ ـع الشراء، سمح القضاء، سمح إذا قضى، وإذا ـى وإذا أعطى، وإذا أخذ حقه، وإذا سدّد الحقوق، يعطي بسهولة لا يحتاج صاحب الحق إلى مجهود لأخذ حقه منه.

والله يحب العبد القوي في جسده وفي قلبه وإيمانه، القوي في علمه ومعرفة شريعة الله، القوي فيما ينفع المسلمين سواء كان في منصب أو في فن من الفنون يتقنه كالبرمجة التي قد يكون فيها قوة وعزة لأهل الإسلام في ميادين السلم والحرب.

فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

فمن أراد زيادة المحبة من الله تعالى وزيادة القربى والصلة بالله؛ فليكُنْ حريصًا على تقوية إيمانه، وليَزْدَد من الله قربًا؛ اللهم إنا نسألك حبَّك وحبَّ من يحبك وحب عمل يبلّغنا إلى حبك.

من جوانب قوة المؤمن

ينبغي أن يكون المؤمن قويًا في كل شيء، ذا همة عالية في أمر دينه ودنياه؛ لأن عموم الحديث يشمل ذلك كله.

فالمؤمن قوي في توحيده، فيجتنب الشرك صغيره وكبيره، ويدعو إلى التوحيد وينشره، ويتوكل على الله تعالى في أموره كلها.

قوي في صلاته، يحرص على أدائها على وقتها بأركانها وواجباتها وسننها وخشوعها، ويحرص على إتمامها بالنوافل التي تكمل ما قد ينقص منها.

قوي في أداء ما أوجب الله عليه من الزكاة؛ فلا ينقص منها شيئًا، ولا يؤخرها عن وقتها، ويؤديها إلى مستحقيها، ويكمل ذلك بالصدقة المستحبة، وهكذا في صيامه وحجه وبره بوالديه، وغير ذلك.

كما ينبغي أن يكون قويًا في عمله في دنياه، ومعنى ذلك: أن يُحسن فيه نيته لربه جل وعلا، فينوي كسب الرزق الحلال، ونفع إخوانه المسلمين، ومساعدة المحتاجين، ويؤدي عمله بأمانة وصدق، ويتقنه إلى الغاية التي يستطيعها.

وبما تقدم كله يكون المؤمن قويًا فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس، فيتحقق فيه وصف المؤمن القوي من جميع جوانبه.

الاستمساك بدين الله تعالى بقوة وعزم

من شيَم المؤمنين الاستمساك بدين الله تعالى بقوة وعزم، قال الله عز وجل: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الزخرف: ٤٣)؛ إنك على صراط مستقيم لا عوج فيه، فتمسَّك به؛ وهذا أمر لذوي الهمم بالاستمساك بالكتاب علمًا وعملًا.

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ"، وهذا يدل على غاية الاستمساك وقوته.

وأخبر الله تعالى عن دعاء المؤمنين فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)؛ فهم لم يسألوا مجرد أن يكونوا متقين، بل أئمة للمتقين.

وفي المقابل ذمّ الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١)؛ قال مجاهد وغيره:

Upload by : altawhedmag.com

(على حرف): على شك. وقال الطبري: ذكر الله تعالى قومًا يعبدونه على حرف، وأنهم يطمئنون بالدين إن أصابوا خيرًا في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيه.

احرص على ما ينفعك

بعد أن عرفنا فضل المؤمن القوي وخيريته وأنه أحب الى الله عز وجل من المؤمن الضعيف، وبيّنت لنا الآيات والأحاديث ما يحبه الله عز وجل من المؤمنين ومن الأعمال.

جاء التوجيه النبوي بالحرص على النافع من الأقوال والأعمال، في أمور الدين والدنيا؛ والحرص معناه بذل الجهد والاعتناء بالشيء.

وعمل الإنسان لا يخلو من ثلاثة أحوال: إما نافع أو ضارّ أو لا نافع ولا ضارّ: فالضار محذّر منه فاجتنبه؛ والنافع مأمور به فاغتنمه، واحرص عليه. وما لا ينفع ولا يضر فالعاقل يشحّ بوقته وعمره أن يبذله في ما لا نفع فيه ولا ضرر.

ثم هذا الذي ليس فيه نفع ولا ضرر في حد ذاته في الغالب لا بد أن يكون وسيلة إلى ما فيه نفع أو ضرر وحينئذٍ يأخذ حكم الغاية؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد؛ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (احرص على ما ينفعك).

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم علّق الحكم على ما ينفع فما كان أكثر استيعابًا لهذا الوصف فهو أولى، يعني ما كان أنفع فهو أولى، فإذا اجتمع عندك أمران أحدهما أنفع من الآخر فخذ بالأنفع منهما.

وبعد الحرص على النافع تأتي الاستعانة، فلا تعتمد على نفسك ولكن (استعن بالله)، فلا يمكن أن تنال مقصودك إلا بالاستعانة بالله؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (احرص واستعن) والواو تقتضي الجمع ولم يقل احرص ثم استعن بل قال احرص واستعن لتكون الاستعانة مقرونة بالحرص، والاستعانة هي طلب العون إما بالفعل وإما بالحال، إما بلسان الحال أو بلسان المقال.

بلسان المقال مثل أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، أو عندما تشرع في الفعل تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، كما في الحيعلتين عندما تردد الأذان وما أشبه ذلك؛ فهذه استعانة بلسان الحال.

والحرص على ما ينفع وطلب العون عليه من الله عز وجل يقتضي أن تبادر وأن تغتنم، فلا تفرط، ولا تتوان، ولا تُسوّف، ولا تلتفت إلى حولك وطولك وقوتك؛ فتستغني عن الله عز وجل، بل انظر إلى ضعفك وفقرك وحاجتك الى الله عز وجل.

ولا تعجز

الإنسان في كثير من الأحيان يُخطّط ويضع تصورات، وإذا جاء عند التنفيذ خارت قواه وعزيمته، فلا يحصل المقصود، سواء في طلب العلم، أو في العبادة، أو التجارة، أو في غير ذلك.

فيكون خوار العزائم، فمثل هذا لا يمكن أن يعمل أعمالًا يمكن أن ينتفع هو بها، أو ينتفع بها غيره.

وعادة يقع ذلك للإنسان بأحد سببين: إما الكسل والأمنيات الفارغة؛ وإما الضعف والعجز والخور.

وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نستعيذ بالله من العجز والكسل؛ فعن أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال".

فإن أصابك شيء مما تكرهه، أو لم تنجح في مسعاك بعد أن استنفدت الوسائل وأخذت بالأسباب، فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، هذا قدر الله، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فإنّ "لو" تفتح عمل الشيطان.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

باب التراجم

العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (رحمه الله)

إعداد: أ. ربيع محمود

عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية النوبي.

مولده:

وُلد في شنشور، وهي قرية تابعة لمركز أشمون، بمحافظة المنوفية في مصر، سنة ١٣٢٥هـ، تلقى تعليمه العالي في الجامع الأزهر، وتخرج فيه سنة ١٣٥١هـ، حاصلاً على الشهادة العالمية، ثم درس- بعد هذا- في شعبة الفقه وأصوله طلبًا للتخصص.

واصل بعد دراسته، وتحصيله، نهلًا من تآليف أهل العلم، ودراية لكتبهم ومصنفاتهم، ولقد وصفه من عايشه وخالطه- رحمه الله- بأنه موسوعي المعرفة، متنوع المدارك، متفننا في سائر العلوم.

عمل مدرسًا في المدارس الأزهرية في مصر، وكان رئيسًا لجماعة أنصار السنة المحمدية. ثم اختار الهجرة إلى بلاد الحرمين الشريفين، فدرّس في مناطق شتى، منها: الطائف؛ حيث درّس في دار التوحيد بها، ودرس في الرياض، وعنيزة.

وتولى التدريس في كلية الشريعة في الرياض إبان إنشائها.

ثم عُين مديرًا للمعهد العالي للقضاء سنة ١٣٨٥هـ.

وفي عام ١٣٩١هـ، انتقل إلى دار الإفتاء، فكان عضوًا في هيئة كبار العلماء، وفي اللجنة الدائمة للإفتاء، حتى صار نائبًا لرئيسها العلامة ابن باز، وذلك إلى أن توفي رحمه الله.

تولى الإشراف العلمي على عدد من الرسائل العلمية العالية (الدكتوراه، الماجستير).

وكان له حلقات علمية في تفسير كتاب الله تعالى يلقيها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في الرياض.

وكان رحمه الله صبورًا على البلوى، يلهج بالحمد والثناء على الله سبحانه، فقد توفي في حياته ثلاثة من ولده، وابتلي بالشلل النصفي قبل نحو عشرين عامًا، فصبر واحتسب، ثم عافاه الله تعالى منه.

وله من الولد خمسة من الذكور، وثلاث من الإناث، سبقه- منهم- إلى ربه ثلاثة ذكور- كما تقدم-.

وكان من أحب كُتب العلماء إليه: كتاب (المستصفى) للغزالي، و(الموافقات) للشاطبي، و(القاموس المحيط) للفيروز آبادي.

كانت عنايته متوجهة إلى التدريس، والتعليم، والإرشاد، والإفتاء، مما أدى إلى عدم تفرغه للتأليف والتصنيف.

ومع ذلك فقد طبعت له (مذكرة التوحيد)، وهي رسالة نافعة تمثل إملاءاته التي كان يلقيها على طلابه في الجامعة.

وله تعليقات نافعة على كتاب (الإحكام في أصول الأحكام) للآمدي.

Upload by : altawhedmag.com

ومما يدل على سعة علمه، ودقة نظره، وشمول معارفه: تلكم التعليقات اليسيرة في حجمها، العظيمة في قيمتها التي أودعها حاشية (شرح العقيدة الطحاوية) لابن أبي العز الحنفي في ذكر إحالات شرحه على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله.

وصفه شيخنا العلامة الألباني بأنه: (من أفاضل العلماء، ومن القلائل الذين نرى منهم سمت أهل العلم، وأدبهم، ولطفهم، وأناتهم، وفقههم).

وقال فيه: (التقيته غير مرة في مواسم الحج، وكنت أستمع-أحيانًا- إلى إجاباته العلمية على استفتاءات الحجاج المتنوعة، محكمة، تدل على فقه دقيق، واتباع ظاهر لمنهج السلف).

ثناء العلماء عليه:

قال عنه الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: أعرف عن فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله التواضع والعلم الجمّ والسيرة الحميدة، والعقيدة الطيبة، والحرص العظيم على أداء عمله على خير وجه، وانه من خيرة العلماء عقيدة وعلمًا ودعوة وتعليمًا، مضى عليه في ذلك ما يقارب خمسين عامًا، ضاعف الله مثوبته، ورفع درجته، وخلفه على المسلمين بأحسن الخلف، وأصلح عقبه. اهـ.

وقال عنه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله ذا عقل راجح، وبُعد نظر، وكثرة صمت، إلا إذا كان الكلام خيرًا، مع ما حباه الله به من العلم الراسخ وحسن التعليم وقلة الحشو في كلامه، وكان رأيه محل التوفيق والسداد، أسأل الله تعالى له المثوبة والرضوان وأن يجمعنا به وإخواننا المؤمنين في أعالي الجنان؛ إنه تعالى هو الوهاب المنان. اهـ.

وقال عنه الشيخ عبد العزيز آل الشيخ رحمه الله: الشيخ أحد أعلام الفضلاء الذين هيأ الله لهم فرصة تربية الأجيال..... وهو ذو علم واسع، وله اطلاع في الحديث والتفسير والفقه وأصوله واللغة العربية، وقد تخرج على يديه أفواج كثيرة، ولقد كان يُلقي دروسًا بعد العشاء في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في التفسير، وكانت دروسه نافعة وتوجيهاته قيمة، عمل الشيخ عبد الرزاق بعد قدومه المملكة معلمًا في دار التوحيد، ثم انتقل للمعاهد العلمية، ثم أصبح عضوًا في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، ثم عضوًا في هيئة كبار العلماء..... وهو رحمه الله مثال للعالم العامل. اهـ.

وقال عنه الشيخ صالح السدلان رحمه الله: «إن كان لي من كلمة في أن أخص مشايخي الشيخ عبد الرزاق عفيفي فهي أنه قد درّسني كثيرًا في عدد من مراحل التعليم في البكالوريوس، درّسني الحديث وأصول الدين، وقام بتدريسي في المعهد العالي للقضاء لمادة أصول التفسير، ودرسني الفقه في السنة النهائية بمعهد القضاء... ولا تكاد تجلس معه قليلاً إلا وتخرج بفائدة علمية أو أدبية أو خلقية، وأعرفه لا يحب الكلام في أحد، كما تميز رحمه الله بوضوح العبارة، ولم أر مدرسًا مثله في إيصال المعلومات وقلة الحشو، وكان محبوه كثيرين، ولم نكن نتصور أن يكون هذا الحضور بهذا الحجم الكبير، ومن كافة الفئات في جنازته». اهـ.

تلاميذه:

من أبرزهم:

١- محمد بن صالح بن عثيمين
٢- عبد الله بن عبد الرحمن الغديان
٣- صالح بن فوزان الفوزان
٤- صالح بن محمد اللحيدان
٥- عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين
٦- عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ
٧- عبد الله بن عبد الرحمن البسام
٨- عبد الله بن حسن بن قعود
٩- صالح بن عبد الرحمن الأطرم
١٠- راشد بن خنين
١١- عبد الله بن سليمان بن منيع

بل إن أعضاء هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية بالكامل من تلاميذ الشيخ رحمه الله تعالى، باستثناء سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ونفر قليل معه.

وفاته:

كانت وفاته-رحمه الله رحمة واسعة- صبيحة يوم الخميس لخمسة أيام بقين من ربيع الأول سنة خمس عشرة وأربع مئة وألف، الموافق: ١٩٩٤/٩/١م.

ودُفن في الرياض بعد صلاة الجمعة، رحمه الله، وألحقه بالصالحين وجمعنا وإياه في جنات عدن مع سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله عز وجل أن يجزي سماحة الشيخ خيرًا لما قدّمه في خدمة العلم وأهله، وأن يُسكنه فسيح جناته؛ إنه سميع مجيب.

Upload by : altawhedmag.com

كيف تُحقّق الإحسان؟

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله
عالم السر والنجوى المطلع على
الضمائر وكل ما يخفى.

أحمده سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد أفضل من أحسن العمل وراقب مولاه في السر والعلن.

وبعد: فالإحسان في اللغة: ضد الإساءة، وهو مصدر أحسن إذا أتى بما هو حسن.

واصطلاحًا: الإتيان بالمطلوب شرعًا على وجه حسن. وقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإحسان في حديث جبريل المشهور حين سأله عن الإحسان؟ فكان جوابه صلى الله عليه وسلم: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (مسلم: (٨)). فبيّن صلى الله عليه وسلم معنى الإحسان، وهو أن يفعل الإنسان ما تعبّده الله به كأنه واقف بين يدي الله، وذلك يستلزم تمام الخشية والإنابة إليه سبحانه.

ويستلزم كذلك الإتيان بالعبادة على وفق الخطة التي رسمها رسوله؛ لأن من مقتضى الإيمان بالله تعالى: الإيمان بأنه تعالى مطلع على جميع الخلائق يعلم أحوالهم، ويشاهد تصرفاتهم وأعمالهم، ويسمع أقوالهم لا يفوته شيء من ذلك ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر؛ قال تعالى: «وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» (يونس: ٦١).

وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ» (آل عمران: ٥). «شَيْءٌ» نكرة في سياق النفي في قوله: «لا يخفى» فتعم كل شيء، فكل شيء لا يخفى على الله في الأرض ولا في السماء، وقد فصّل الله هذا في قوله تعالى: «وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» (الأنعام: ٥٩).

تفيد هذه الآيات وغيرها من آي الكتاب العزيز، إلى جانب ما تقرّره من شمول علم الله وكماله واطلاعه ومراقبته وعظيم قدرته ورعايته وهيمنته؛ فهي تفيد إلى جانب ذلك تعليم عباده بأن يراقبوا ربهم ويستحضروا قربه ويستشعروا على الدوام بأن الله سبحانه مُطلع على حركاتهم وسكناتهم، وعلى أقوالهم وأفعالهم وما يختلج في صدورهم: «وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» (الملك: ١٣-١٤).

ويتأكد ذلك الاستشعار عندما يشرع المسلم في عبادة من العبادات بحيث يقوم فيها بين يدي خالقه ومولاه مقام من آمن واستشعر بأن الله تعالى يراه أو كأنه هو الذي يرى الله سبحانه، وهذه أعلى درجات السلوك مع الله تعالى؛ لأن العاقل إذا تذكّر أن الله رقيب عليه: أحسن عمله؛ رغبةً فيما عند الله من الثواب للمحسنين، وخوفًا من العقاب الذي

Upload by : altawhedmag.com

أعدّه للمسيئين، وقد قال الله تعالى: ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ (النجم: ٣١).

ومن رحمته وفضله تعالى: أن جعل الجزاء من جنس العمل، ومن ذلك أن جعل ثواب الإحسان إحسانًا: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن: ٦٠). فمن أحسن عمله أحسن الله جزاءه، وقد أوضح عز وجل في كتابه العزيز جزاء المحسنين وأنه أعظم جزاء وأكمله؛ فقال تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ (يونس: ٢٦)؛ وهذه الآية فسّرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رواه مسلم في صحيحه عن صهيب بأن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله سبحانه. (مسلم: ١٨١)؛ ولا يخفى ما بين هذا الجزاء وذلك العمل الذي هو الإحسان من المناسبة؛ فالمحسنون الذين عبدوا الله كأنهم يرونه، جزاؤهم على ذلك العمل: النظر إليه عيانًا في الآخرة.

على العكس من ذلك الكفار الذين طبع على قلوبهم فلم تكن محلاً لخشيته ومراقبته في الدنيا، فعاقبهم الله على ذلك بأن حجبهم عن رؤيته في الآخرة، ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ (المطففين: ١٥). كما أن جزاء الذين أحسنوا الحسنى فإن عاقبة الذين أساءوا السوأى كما قال تعالى: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى﴾ (الروم: ١٠).

ولمزيد عناية الإسلام بالإحسان وعظيم منزلته، نوّه عز وجل بفضله، وأخبر أنه يحب المحسنين، وأنه معهم، وكفى بذلك فضلاً وشرفًا؛ فقال عز وجل: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ (البقرة: ١٩٥)، وقال: ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ (العنكبوت: ٦٩).

وقد ضمّن رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابه عن الإحسان بيان السبب الحافز على الإحسان لمن يبلغ هذه الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة؛ ألا وهو تذكير فاعل العبادة بأن الله مُطّلع عليه لا يخفى عليه شيء من أفعاله، وسيجازيه على ذلك؛ إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

فعلى العبد أن يأخذ نفسه بمراقبة الله تعالى، ويُلزمها إياها في كل لحظة من لحظات عمره، حتى يتم لها اليقين بأن الله مُطّلع عليه، عالم بأسراره، رقيب على أعماله، قائم عليه وعلى كل نفس بما كسبت، وهذا أرفع مراتب الدين. وقد مدح الله الذين يخشونه بالغيب؛ فقال تعالى: ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير﴾ (الملك: ١٢). وقال تعالى: ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ (يس: ١١).

وقد عدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية الله في السر والعلانية من المنجيات؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى». (الصحيحة: (١٨٠٢)، وصحيح الجامع (٣٠٣٩)). فخشية الله في السر والعلانية أساس عمل المسلم كله ومعاملاته؛ لأنه بإيمانه بالغيب سيعمل كل خير طمعًا في ثواب الله، وبمخافة الله بالغيب سيتجنب كل سوء، وقد ذمّ الله أولئك الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله، فقال تعالى: ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا﴾ (النساء: ١٠٨).

فعظّم -أخي- حُرمات الله في السر والعلانية؛ ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾ (الحج: ٣٠)، واحذر كل الحذر ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا فيجعلها الله سبحانه هباءً منثورًا». معنى: هباء: التراب الذي تطيره الريح، وقد ينبثّ في الهواء فلا يبدو إلا في ضوء الشمس. ويقال: ذهب عمله هباءً أي هدرًا.

قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لهم، جلّهم لنا؛ ألّا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله، انتهكوها». (ابن ماجه في كتاب «الزهد» (٤٢٤٦)، الصحيحة: (٥٠٥)).

وحسبك قول القائل:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت
ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما يُخفى عليه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب
وأن غدًا للناظره قريب

اللهم ارزقنا خشيتك في السر والعلن.

Upload by : altawhedmag.com

من نور كتاب الله

تقوى الله أساس النجاة

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم» (الأحزاب: ٧٠-٧١)

من هدي رسول الله ﷺ

ترك المزاح بالكذب والمراء للمحق

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه" (سنن أبي داود وحسنه الألباني).

واحة التوحيد

فوائد لغوية

الفرق بين الخوف والخشية

الخوف: يكون عامًا في أمور الدنيا والآخرة. أما الخشية فهي خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه، ولذلك خُصَّ العلماء بها في قوله: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (المفردات للأصفهاني)

حكم ومواعظ

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا" (رواه البخاري).

من درر العلماء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في عدم الخروج على ولاة الأمور ولزوم طاعتهم: «وقد استفاض وتقرر في غير هذا الموضع ما قد أمر به صلى الله عليه وسلم من طاعة الأمراء في غير معصية الله، ومناصحتهم والصبر عليهم في حكمهم وقسمهم، والغزو معهم والصلاة خلفهم ونحو ذلك». (مجموع الفتاوى)

من أسباب صلاح القلب

قال تعالى: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»؛ فصلاح القلب وطمأنينته ليسا بكثرة متاع الدنيا، وإنما بالقرب من الله ودوام ذكره، وكلما تعلق القلب بربه كان أهدأ عند البلاء، وأشكر عند النعمة، وأثبت عند الفتن.

Upload by : altawhedmag.com

فائدة عقدية

التوحيد ليس مجرد الاعتراف بوجود الله تعالى وأنه الخالق والرازق. فالمشركون الأوائل كانوا يُقرّون بأن الله هو الخالق، ومع ذلك لم يكونوا موحدين؛ لأنهم صرفوا بعض العبادة لغير الله. قال تعالى: «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله» (لقمان: ٢٥).

من دعاء النبي ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "ربّنا آتنا في الدُّنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار". (رواه مسلم).

إعداد/د. علاء خضر

من أقوال السلف

قال الإمام الأوزاعي: "لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسُّنة". (شرح أصول اعتقاد أهل السنة)

من فضائل الصحابة

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خيرُ النَّاس قرني، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم" (رواه البخاري).

من حكمة الشعر

قال الشافعي في فضل طلب العلم:

ومَنْ لَمْ يذُقْ مُرَّ التعلُّم ساعةً
تجرَّعَ ذُلَّ الجهلِ طولَ حياتِه
ومَنْ فاتَهُ التعليمُ وقتَ شبابِه
فكبِّرْ عليه أربعًا لوفاتِه

أحاديث باطلة اشتهرت عند الناس

"اطلبوا العلم ولو في الصين" رواه ابن عدي في الكامل (٢/٢٠٧) وأبو نعيم في "أخبار أصبهان" (٢/١٠٦) وأورده ابن الجوزي في "الموضوعات"، وقال: قال ابن حبان: باطل لا أصل له. (السلسلة الضعيفة للألباني).

Upload by : altawhedmag.com

أعمال القلوب في القرآن والسنة

الأُنس بالله تبارك وتعالى

إعداد: أ/عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن من أعظم النعم التي يَمُنّ الله تعالى بها على عَبْده أن يفتح له باب الأُنس به؛ فيصبح قلبه مطمئنًا بذِكْر الله، راضيًا بشرعه وقدَره، مستبشرًا بمناجاته، يُحبّ قُرْبه، ويجد اللذة والفرحة في طاعته، ويأنس بالله تعالى ويشعر بالراحة في الخلوة به ومناجاته، ويجد في اللجوء إليه سكينة لا تمنحها الدنيا بكل ما فيها.

والأُنس بالله تعالى ليس مجرد شعور عابر يَمُرّ بالقلب، وانما هو منزلة إيمانية رفيعة، وثمرة من ثمار معرفة الله والإيمان به ومحبته وطاعته والرضا عنه، حتى يصبح الله تعالى أحبَّ إلى العبد من كل ما سواه، ويجد قلبه في الإقبال عليه من السكينة والطمأنينة ما يجعله قادرًا على مواجهة تقلبات الحياة بثبات ويقين ورضا.

معنى الأُنس بالله تعالى

الأُنس في اللغة هو زوال الوحشة، والسكون إلى الشيء، والاطمئنان إليه. والأُنس بالله تعالى هو سكون القلب إليه، وطمأنينته بذِكْره، وفرحه بمناجاته، واستراحته إلى طاعته، وثقته برحمته وتدبيره.

فليس الأُنس بالله أن يعيش الإنسان بعيدًا عن الناس، أو أن يترك أسباب الحياة والعمل، وإنما حقيقته أن يكون قلبه مع الله أينما كان، وأن يجد في داخله ملجأ

Upload by : altawhedmag.com

ثابتًا يرجع إليه في الفرح والحزن، وفي القوة والضعف، وفي السعة والضيق.

قال الله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (الرعد: ٢٨): هذه الطمأنينة من أعظم مظاهر الأُنس بالله؛ لأن القلب إذا عرف ربه، وأحسن الظن به، وأيقن برحمته وحكمته، لم تعُد الدنيا قادرة على أن تستولي عليه أو تهز أركانه كلما تغيرت الأحوال.

والأُنس بالله مرتبط كذلك بمعنى القرب من الله تعالى؛ يقول سبحانه: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» (البقرة: ١٨٦). وسبق أن الإمام ابن القيم جعل هذه الآية في صدر حديثه عن منزلة الأُنس؛ لأن استحضار قُرب الله ورعايته وإحسانه يقود القلب إلى الأُنس به.

حقيقة الأُنس بالله تبارك وتعالى

حقيقة الأُنس بالله أن يجد العبد قلبه متعلقًا بربه، وأن تكون راحته الكبرى في ذِكره ومناجاته وطاعته، لا في متاع الدنيا وحده. وقد يملك الإنسان المال، والأهل، والأصدقاء، والمكانة، ومع ذلك يشعر بوحدة داخلية عميقة؛ لأن القلب لا يملأ فراغه الحقيقي إلا الإيمان بالله.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ففي القلب شعث لا يلمُّه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يُزيلها إلا الأُنس به في خلوته، وفيه حزنٌ لا يُذهبه إلا السُّرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلقٌ لا يسكُنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه...» (مدارج السالكين: ٤/ ١٧).

ولهذا قال الله تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا» (طه: ١٢٤): فالضيق الحقيقي ليس دائمًا ضيق المال أو قلة الأسباب، وإنما قد يكون ضيق القلب وبُعده عن ربه.

وفي المقابل، قد يمر المؤمن بالمحن والشدائد، لكنه يجد في قلبه من السكينة ما يجعله ثابتًا؛ لأنه يعلم أن له ربًّا يسمعه ويراه، وأن أمره كله بيد الله؛ ومن أبلغ ما يوضح ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا» رواه مسلم.

فالرضا بالله ربًّا ليس مجرد اعتقاد ذهني، وإنما هو راحة القلب إلى الله، والثقة بحكمته، والاستسلام لأمره، والفرح بمعرفته وطاعته.

الأُنس بالله لا يعني الغفلة عن الناس

ومن المهم أن نفهم أن الأُنس بالله لا يعني الانقطاع عن المجتمع أو كراهية الناس أو ترك المسؤوليات. فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس صلة بالله، ومع ذلك كان يعيش بين الناس، ويخالطهم، ويقضي حوائجهم، ويزور المرضى، ويجاهد، ويعلّم، ويقود الأمة. لكن قلبه كان متعلقًا بالله.

وهذه هي الصورة الصحيحة للأنس: أن تكون بين الناس بجسدك، وقلبك بالله؛ تعمل، وتكسب، وتتزوج، وتربّي أبناءك، وتخدم الناس، وتتحمل المسؤوليات، لكنك لا تجعل شيئًا من ذلك معبودًا لقلبك أو مصدر سعادتك الوحيد.

كيف يتحقق الأُنس بالله؟

١- معرفة الله تعالى

لا يمكن أن يأنس القلب بمن لا يعرفه. وكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته وأفعاله ازداد حبًا له، وثقة به، وإقبالًا عليه.

فإذا عرف أن الله هو الرحمن الرحيم، طمع في رحمته.

Upload by : altawhedmag.com

وإذا عرف أنه الغفور التواب، لم ييأس من مغفرته.

وإذا عرف أنه اللطيف الخبير، اطمأن إلى تدبيره.

وإذا عرف أنه الرزاق، لم يتعلق قلبه بالأسباب وحدها.

وإذا عرف أنه الحكيم، رضي بحكمه وإن خفيت عليه الحكمة.

ولهذا فإن تدبر أسماء الله وصفاته من أعظم أبواب الأُنس به؛ إذ إن معرفة هذه الأسماء تحمل العبد على معاملته بمقتضاها من المحبة والخوف والرجاء والتوكل.

٢-المحافظة على ذكر الله تعالى

الذكر هو غذاء القلب، ومن أعظم أبواب الأُنس بالله؛ قال تعالى: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ» (البقرة: ١٥٢)، وقال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» (الأحزاب: ٤١).

والذكر لا ينبغي أن يكون مجرد ألفاظ تتحرك بها الشفاه، وإنما المقصود أن يجتمع اللسان والقلب؛ فيستشعر العبد أنه يذكر ربًا يسمعه ويراه ويعلم حاله.

ومن أعظم صور الذكر: قراءة القرآن بتدبُّر، والاستغفار، والتسبيح، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والدعاء، والتفكر في نعم الله جل وعلا.

٣- حُسن إقامة الصلاة والخلوة بالله تعالى

الصلاة ليست مجرد أداء فرض، وإنما هي موعد متجدّد بين العبد وربه. وفي الحديث: «وجُعلت قرة عيني في الصلاة» رواه النسائي وأحمد.

ومن أعظم أبواب الأُنس أن يكون للعبد أوقات يخلو فيها بربه، ولا سيما في الليل؛ حيث يهدأ الناس وتخفت الأصوات، فيقوم العبد بين يدي ربه، يصلي، ويقرأ، ويدعو، ويستغفر. وفي هذه الخلوة يتعلم القلب معنى لا يستطيع أن يتعلمه في ضجيج الحياة: أنه ليس وحده.

٤-الدعاء ومناجاة الله سبحانه وتعالى

من أعظم مظاهر الأُنس أن يجد العبد في الدعاء بابًا مفتوحًا لا يغلق؛ قال سبحانه: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (غافر: ٦٠)؛ والعبد المستأنس بالله لا يرى الدعاء مجرد وسيلة للحصول على مطلوب، بل يراه عبادة وقربًا ومناجاة. وقد يتأخر المطلوب، لكن القلب يربح شيئًا أعظم: الشعور بالقرب من الله والافتقار إليه.

٥- ترك المعاصي

المعصية من أعظم ما يُفسد الأُنس بالله؛ لأنها تضعف القلب، وتقطع طريق القرب، وتورث الوحشة. ولهذا فإن من أراد أن يذوق حلاوة الأُنس فليجاهد نفسه على ترك الذنوب، وليبادر بالتوبة كلما زلت قدمه.

قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ» (البقرة: ٢٢٢)؛ فالتوبة ليست مجرد التخلص من الذنب، بل هي عودة إلى الله، وهذه العودة نفسها باب عظيم من أبواب الأنس.

ثمرات الأُنس بالله تعالى

للأنس بالله ثمرات عظيمة في حياة الإنسان، ومن أبرزها:

١- الشعور بالطمأنينة: فالقلب الذي يأوي إلى الله لا تستعبده المخاوف؛ لأنه يعلم أن الله معه، وأنه سبحانه أرحم به من نفسه؛ قال تعالى: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (الرعد: ٢٨).

٢- قوة مواجهة الابتلاءات: فالأُنس بالله لا يعني أن المؤمن لا يحزن، ولكنه يعني أن الحزن لا يهدمه، وأن المصيبة لا تقطعه عن ربه؛ قال تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» (البقرة:

Upload by : altawhedmag.com

١٥٥).

٣- استشعار حلاوة العبادة: فالعبد الذي يأنس بالله لا يرى الصلاة عبئًا، ولا القرآن ثقلاً، ولا الذكر عادة جافة، وإنما يجد فيها غذاء قلبه وراحة نفسه.

٤- حسن الظن بالله: فكلما عرف العبد ربه ازداد ثقة برحمته وحكمته وتدبيره. قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي» متفق عليه.

٥- الاستغناء عن الخلق وعدم التعلق بهم: وليس المقصود ألا يحتاج الإنسان إلى الناس في شؤون حياته، وإنما ألا يجعل قلوبهم مصدر قيمته وسعادته، وألا يتعلق بهم تعلقًا ينسى معه تعلقه بالله.

٦- الشعور بالأمن في سكرات الموت والقبر: قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «فمن أطاع الله واتقاه وحفظ حدوده في حياته تولاه الله عند وفاته، وتوفاه على الإيمان، وثبته بالقول الثابت في القبر عند سؤال الملكين، ودفع عنه عذاب القبر، وآنس وحشته في تلك الوحدة والظلمة. قال بعض السلف: إذا كان الله معك عند دخول القبر، فلا بأس عليك ولا وحشة. ورئي بعض العلماء الصالحين في النوم بعد موته، فسئل عن حاله فقال: «يؤنسني ربي عز وجل». فمن كان الله أنيسه في خلواته في الدنيا، فإنه يرجى أن يكون أنيسه في ظلمات اللحود إذا فارق الدنيا وتخلى عنها» (نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ٣/ ١٢٠).

كيف يصل العبد إلى منزلة الأنس بالله تعالى؟

الوصول إلى الأنس بالله لا يتأتى عبر خطوة واحدة، وإنما هو طريق طويل من المجاهدة والتدرج. يبدأ الطريق بتصحيح التوحيد، ثم معرفة الله تعالى، ثم المحافظة على الفرائض، ثم الإكثار من النوافل والذكر، ثم ترك الذنوب، ثم دوام التوبة، ثم تدبر القرآن، ثم محاسبة النفس، ثم الصبر على الطريق.

والأنس بالله تعالى هو أن يجد القلب سعادته الحقيقية عند ربه؛ فإذا ضاقت به الدنيا لجأ إليه، وإذا أقبلت عليه النعم شكره، وإذا نزل به البلاء صبر، وإذا أذنب تاب، وإذا خلا بربه استراح، وإذا ذكره اطمأن.

وليس الأنس أن تخلو الحياة من المشكلات، وإنما أن يسكن الله قلبك وسط المشكلات. وليس أن تزول الأحزان، وإنما أن تجد في القرب من الله ما يمنع الحزن من تحطيمك. وليس أن تمتلك الدنيا كلها، وإنما ألا تمتلك الدنيا قلبك.

ومن أراد هذه المنزلة فليبدأ من حيث بدأ الصالحون: معرفة بالله، وصدق في التوبة، ومحافظة على الفرائض، وإكثار من الذكر، وصحبة للقرآن، وخلوة بالمناجاة، ومجاهدة للنفس، وترك للذنوب، وحسن ظن بالله.

وحينئذ يجد العبد أن أعظم ما كان يبحث عنه في الدنيا لم يكن مالًا ولا جاهًا ولا كثرة أصدقاء، وإنما كان قلبًا يعرف ربه، ويأنس به، ويطمئن إليه.

نسأل الله أن يرزقنا الأنس به والاطمئنان بذكره وحُسن التوكل عليه، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

فضل الصبر على المرض وعيادة المريض

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ، والصَّلاَةُ والسَّلاَمُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

وبعدُ: فإنَّ الصبر على المرض، بنفس راضية، له ثمرات مباركة في الدنيا ويوم القيامة، وحول هذه المعاني المهمة أقول وبالله تعالى التوفيق:

لقد ابتلى اللهُ تبارك وتعالى كثيرًا من الأنبياء والصالحين ليختبر صبرهم ليرفع درجاتهم في جنات النعيم، وأشد الناس ابتلاءً هُمُ الأنبياء ثم الصالحون، فقد ابتلى سُبحانَهُ نبيه أيوب صلى الله عليه وسلم بالمرض سنوات عديدة، فصبر على ذلك ثم شفاه الله عز وجل برحمته. قال سُبحانَهُ وتعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) (الأنبياء: ٨٣: ٨٤).

فضل الصبر على المرض:

الصَّبْرُ: هُوَ الرِّضَا التَّامُّ بما قَدَّرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى على المسلم، وعَدَمُ الشَّكْوَى لغير الله تعالى. (التعريفات- الجرجاني- ص١٣١).

لقد حثنا الله تعالى في كتابه العزيز وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في سُنته المباركة على الصبر على المرض وغيره لما يترتب على ذلك من جزيل الأجر ورفع درجات العبد في الجنة، وسوف نتحدث عن فضل الصبر بإيجاز.

قال جل شأنه: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل:٩٦)، وقال تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر: ١٠).

قال الإمامُ الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (بِغَيْرِ

Upload by : altawhedmag.com

حساب) أي: بما لا يقدرُ على حصْره حاصرٌ، ولا يستطيعُ حُسبانَهُ حاسبٌ.(فتح القدير- للشوكاني- ٥٢١/٤).

وعنْ أبي سعيد وأبي هُريرة رضي الله عنهما، أنَّهما سمعا رسُول الله صلى الله عليه وسلَّم، يقُولُ: ما يُصيبُ المُؤمن منْ وصبٍ ولا نصبٍ ولا سقمٍ ولا حزنٍ حتَّى الهمِّ يهمُّهُ إلا كفَّر به منْ سيِّئاته. (رواه مسلم: ٢٥٧).

وعنْ أنس بْن مالك رضي الله عنْهُ، قال:سمعْتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، يقُولُ: إنَّ الله قال: إذا ابْتليْتُ عبْدي بحبيبتيه (أي: عينيه) فصبر عوَّضْتُهُ منْهُما الجنَّة. يُريدُ عينيه. (رواه البخاري: ٥٦٥٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمهُ الله: المُراد أنَّهُ يصْبر مُسْتحْضرًا ما وعد الله به الصَّابر منْ الثَّواب، لا أنْ يصْبر مُجرَّدًا عنْ ذلك؛ لأنَّ الأعْمال بالنِّيَّات، وابْتلاء الله عبْده في الدُّنْيا ليس منْ سُخْطه عليه بلْ إمَّا لدفْع مكْروه أوْ لكفَّارة ذُنوب أوْ لرفْع منْزلة، فإذا تلقَّى ذلك بالرِّضا تمَّ لهُ المُراد. (فتح الباري لابن حجر جـ١٠ صـ ١٢١).

عنْ عبْد الله بْن مسعود رضي الله عنْهُ، قال: قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ما منْ مُسْلم يُصيبُهُ أذًى إلا حاتَّ الله عنْهُ خطاياهُ كما تحاتُّ ورقُ الشَّجر (رواه البخاري: ٥٦٦٠، ومسلم: ٢٥٧١).

عن جابر بْن عبْد الله رضي الله عنْهُما، أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم، دخل على أمِّ السَّائب، فقال: ما لك يا أمَّ السَّائب تُزفْزفين؟ قالتْ: الحمَّى، لا بارك الله فيها، فقال: لا تسُبِّي الحمَّى، فإنَّها تُذْهبُ خطايا بني آدم، كما يُذْهبُ الكيرُ خبثَ الحديد. (رواه مسلم: ٢٥٧٥).

استمرار ثواب أعمال المريض

عن أبي مُوسى الأشعري رضي الله عنْهُ، قال: قال رسُولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: إذا مرض العبْدُ أوْ سافر كُتب لهُ مثْل ما كان يعْملُ مُقيمًا صحيحًا. (رواه البخاري: ٢٩٩٦).

وعنْ شدَّاد بْن أوْس رضي الله عنْهُ، قال: سمعْتُ رسُول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، يقُولُ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقُولُ: إنِّي إذا ابْتليْتُ عبْدًا منْ عبادي مُؤْمنًا فحمدني على ما ابْتليْتُهُ فإنَّهُ يقُومُ منْ مضْجعه ذلك كيوْم ولدتْهُ أُمُّهُ منْ الخطايا، ويقُولُ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ أنا قيَّدْتُ عبْدي وابْتليْتُهُ فاجْرُوا لهُ كما كُنْتُمْ تجْرُون لهُ وهُو صحيحٌ. (صحيح الجامع للألباني: ٤٣٠٠).

قال ابن عثيمين رحمهُ الله: المُتمني للخير، الحريص عليه: إن كان من عادته أنه كان يعمله، ولكنه حبسه عنه حابسٌ، كُتب له أجرهُ كاملاً. فمثلاً: إذا كان الإنسان من عادته أن يصلي مع الجماعة في المسجد، ولكنه حبسه حابس، كنوم أو مرض، أو ما أشبهه فإنه يُكتب له أجر المصلي مع الجماعة تماماً من غير نقص. (شرح رياض الصالحين- لابن عثيمين- ٣٦/١).

وجوب التداوي والأخذ بأسباب الشفاء:

أخي المسلم الكريم: ما أصابك من المرض إنما هو من قدر الله تعالى، والدواء كذلك من قدر الله، فاحرص على الأخذ بأسباب الشفاء وذلك بحُسن الظن والتوكل على الله والذهاب إلى ذوي الخبرة من الأطباء، الموثوق في دينهم وعلمهم بالطب، فإن الله تعالى أنزل الداء وجعل له الدواء.

وعنْ أُسامة بْن شريك رضي الله عنْهُ، قال: أتيْتُ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وأصْحابهُ كأنَّما على رُءوسهمُ الطَّيرُ فسلَّمْتُ ثُمَّ قعدْتُ فجاء الأعْرابُ منْ ها هُنا وها هُنا فقالُوا: يا رسُول الله أنتداوى؟ فقال تداوَوْا، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لمْ يضعْ داءً إلا وضع لهُ دواءً، غير داءٍ واحد: الهرَمُ (أي: كبر السن). (صحيح أبي داود للألباني: ٣٢٦٤).

Upload by : altawhedmag.com

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء. (رواه البخاري: ٥٦٧٨).

وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل. (رواه مسلم: ٢٢٠٤).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: في الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا (زاد المعاد- لابن القيم- ١٥/٤).

فضل عيادة المريض:

لقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيارة المريض، وبين لنا فضل عيادة المريض في كثير من أحاديثه. فعن ثوبان رضي الله عنه، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من عاد مريضًا لم يزل في خرفة الجنة. قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة؟ قال: جناها. (رواه مسلم: ٤٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس (رواه البخاري: ١٢٤٠).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة. (صحيح سنن الترمذي للألباني: ٧٧٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من عاد مريضًا نادى مناد من السماء: طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا. (صحيح سنن ابن ماجه للألباني: ١١٨٤).

آداب عيادة المريض:

زيارة المريض لها آداب ينبغي على المسلم معرفتها والعمل بها، نستطيع أن نوجزها في الأمور التالية:

١- إخلاص العمل لله تعالى وحده والابتعاد عن الرياء والسمعة.

٢- اختيار الوقت المناسب لزيارة المريض.

٣- غض البصر عن محارم المريض.

٤- عدم إطالة الجلوس عند المريض حتى يتضايق.

٥- يقلل السؤال عن المريض.

٦- لا يتكلم عند المريض بما يزعجه.

٧- إظهار الرأفة على المريض.

٨- الإخلاص في الدعاء للمريض.

٩- يوسع للمريض في الأمل.

١٠- يشير على المريض بالصبر لما فيه من جزيل الأجر.

١١- إذا كان المرض هو مرض موت، فإننا نذكر المريض بمحاسن أعماله، ونخفي عنه سيئها، حتى يحسن الظن بربه سبحانه.

١٢- الرقية لمن يحسنها طلبًا لشفاء المريض.

١٣- ذكر فضل المرض، وأنه كفارة للذنوب حتى يصبر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

القرآن الكريم وآداب تلاوته

إعداد
د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد
جامعة الباحة سابقا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

وبعد: فإن من رحمة الله بعباده أنه لم يتركهم في الضلال والجهل، بل أكرمهم سبحانه وتعالى بإرسال الرسل لهداية البشر، وأنزل معهم الكتب السماوية؛ لتكون منارات تضيء للناس طريق الحق، فتنير العقول بنور الوحي، وتهدي القلوب إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، ولقد نزل القرآن الكريم مصدقاً لما سبقه من الرسالات، رقيباً وشاهداً عليها، قال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» (المائدة: ٤٨).

والقرآن الكريم منهج حياة شامل يرشد الإنسان إلى طريق الصلاح والسعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة، والقرآن الكريم رسالة ربانية عالمية، لم يقتصر على قوم دون آخرين، أو عصر دون غيره، بل خاطب البشرية كلها، كما أكد سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (سبأ: ٢٨).

القرآن الكريم

والقرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المعجز، المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، المدون في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته ولو بآية منه، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، ويتناول القرآن الكريم أموراً عديدة من ضمنها العقائد التي يجب الإيمان بها وهي الإيمان بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، القضاء على العادات والتقاليد الجاهلية في جميع شؤون الحياة، وكذلك إصلاح المجتمع إصلاحاً كاملاً في جميع أموره العقدية والدينية، أو في أحواله الاجتماعية، وما يشملها من أمور دينية وأخلاقية وانسانية.

والقرآن الكريم هو المصدر الأول لتعاليم الإسلام وتوجيهاته، وهو معجزة رسولنا صلى الله عليه

Upload by : altawhedmag.com

وسلم الخالدة بتراكيبه وأساليبه، ببلاغته وبفصاحته، بتعاليمه ومبادئه، بإرشاداته وهداياته، وبما اشتمل عليه من المثل العليا. قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (فصلت: ٤١-٤٢).

آداب تلاوة القرآن الكريم

ولتلاوة القرآن الكريم آداب يجب المحافظة عليها تتمثل في إخلاص النية لله سبحانه وتعالى، فالتلاوة مع إخلاص النية عبادة يؤجر عليها المسلم، وتقربه من خالقه؛ روى الترمذي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشرة أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، كذلك من آداب تلاوة القرآن الكريم التجرد من الأغراض والرغبات الدنيوية، استحضار القلب والتطهر والتطيب وتحسين الهيئة، استقبال القبلة، الاستعاذة لقوله سبحانه وتعالى: «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (النحل: ٩٨)، الخشوع والتدبر في معاني القرآن الكريم، لقوله سبحانه وتعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (النساء: ٨٢)، تحسين الصوت وترتيله ترتيلاً حسناً، قال تعالى: «وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» (المزمل: ٤).

كما جعل الله سبحانه وتعالى القرآن شفاء للعالمين وهدى ورحمة، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» (يونس: ٥٧)، ومن أراد البركة في عمره ووقته وأهله وماله وأعماله فعليه بالقرآن، قال تعالى: «وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ» (الأنعام: ١٥٥)، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» (صحيح مسلم).

كيف تجعل طفلك يحب القرآن؟

القرآن الكريم منهج أخلاقي كامل، نزل على رسول كان خُلقه القرآن، وكان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، فالقرآن الكريم يُعدّ مصدراً للقيَم الأخلاقية الإسلامية التي ينبغي غرسها في نفوس أطفالنا.

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"(صحيح البخاري)، وقد أوصى الإمام الغزالي الوالدين بتعليم أولادهما القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفوسهم حب الصالحين.

وعلى الوالدين تنشئة أطفالهم تنشئة دينية وزرع حب القرآن الكريم في قلوبهم وحب تلاوته وفهم ما جاء فيه من شرائع وحكم وعبَر ومواعظ، وعلى الوالدين مراعاة بعض الخطوات لتحبيب القرآن الكريم لدى الأطفال وهي تلاوة القرآن أمام الطفل، أن تظهر له تعظيمك للقرآن وأهله، أن تهديه مصحفاً يكون خاصاً به، أن تسجل صوت الطفل أثناء تلاوته وتثني عليه وتمدحه، أن تحفز الطفل بالجوائز بصفة مستمرة، أن تقرأ عليه قصص القرآن عندما يخلد للنوم.

كما يجب على الوالدين تعليم الأطفال أن قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر، وأن من أسباب كثرة الهموم والوساوس: الغفلة عن قراءة القرآن الكريم، وأن القلب الذي لا يعمره القرآن يتربع فيه الشيطان.

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا وجلاء همومنا وذهاب أحزاننا وارزقنا تلاوته بالوجه الذي يرضيك عنا آناء الليل وأطراف النهار.

Upload by : altawhedmag.com

أُسس ومقوّمات اختيار الزوجين

إعداد
د. أحمد زكي
رئيس التحرير الأسبق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه.

وبعد: فكما هو معلوم فإن الأسرة هي أساس المجتمع، وهي اللبنة الأساسية في بناء صرح المجتمع الإسلامي، لذا كان لزامًا أن يقوم هذا الصرح على قواعد راسخة متينة، حتى يقوى بنيان الأمة، ويعلو شأنها.

ولذلك أكد الإسلام على حُسن اختيار الزوجين، وجعل لذلك أسسًا وقواعد ثابتة، ينبغي مراعاتها والعمل بها عند تأسيس البيت المسلم، وأمر بحُسن اختيار الزوجين بناء على هذه القواعد.

وإذا كانت الأسرة تتكون من زوج وزوجة، فالزوجة كالأرض، والزوج كالبذرة، فإذا كانت الأرض خصبة والبذرة جيدة، أنبتت الأرض الشجر الطيب الذي يؤتي أكله كل حين بإذن ربه، وأثمرت الثمر الطيب النافع، والعكس بالعكس، إذا كانت الأرض بورًا والبذرة غير طيبة؛ لم تثمر إلا الشوك وما لا فائدة فيه، وكما قال ربنا سبحانه وتعالى: «وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا» (سورة الأعراف: ٥٨).

لذا وضع الشرع القويم الأسس والقواعد لاختار الزوجين، ومن أهمها:

الأساس الأول والثاني: الدين والخُلق

فالأصل في معيار اختيار الزوجين هو الدين والخُلق؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أتاكم من ترضون خُلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». رواه الترمذي وحسنه الألباني.

وكما قال ربنا جل وعلا: «وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ» (البقرة: ٢٢١)؛ قال رجل للحسن: قد خطب

Upload by : altawhedmag.com

ابنتي جماعة فمن أزوجها؟ قال: زوّجها ممّن يتقي الله؛ فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

لا توجد امرأة ماتت من الجوع مع زوج فقير، لكن توجد امرأة ماتت من القهر والذل مع رجل لا يتقي الله؛ لذا اختاروا لبناتكم غنى الخلق والدين.

وفي المقابل ينبغي أن تكون الزوجة ذات دين؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (متفق عليه). «تربت يداك: أي: لصقتا بالتراب، وهي كناية عن الفقر، وهو خبر بمعنى الدعاء، لكن لا يُراد به حقيقته...». (فتح الباري).

معنى ذلك أن الدين شرط أساسي ومشترك في كلا الزوجين، فلا قوام ولا استقامة للحياة الزوجية إلا إذا كان الدين أساسها وعمودها وعمادها. فلا ينبغي لأولياء أمور النساء رفض الخاطب ذي الدين لفقره أو لنسبه المتواضع، ما دام يمتلك الحد الأدنى الذي يتمّ به الزواج من متاع الدنيا، ولقد قرّر الله -عز وجل- في قرآنه معيار التفاضل بين البشر؛ فقال -عز من قائل: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات: ١٣)، فقد يكون المؤمن الفقير خيرًا من غيره ألف مرة، كما بيّن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سهل بن سعد الساعدي قال: مرّ رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما تقول في هذا؟ فقال: حريٌّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفّع، وإن قال أن يُسمع. قال: ثم سكت فمرّ رجلٌ من فقراء المسلمين، فقال: ما تقول في هذا؟ فقال: هذا حريٌّ إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يُشفّع، وإن قال أن لا يُسمع. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا". رواه البخاري، وكما قال ربنا جل وعلا: «وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم» (النور: ٣٢).

وفي المقابل لا تترك المرأة ذات الدين طمعًا في ذات المال أو الجمال أو النسب، فإذا صرفت نظرك عن الدين، ورحت تنشد الجمال وحده أو الحسب والنسب، والجاه والمال، فاعلم أنك مغبون، وهمتك قاصرة. فاظفر بذات الدين حتى ترعى الذرية، وتقوم على إصلاحها وتربيتها على نهج ربها، وتتقي الله في زوجها، واظفر بذات الدين فإنها غنيمة وفوز، فلا تضيعها، وكما قال ربنا جل وعلا: «ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم» (البقرة: ٢٢١).

فكم من زوجة ذات دين ربّت وخرّجت للأمة رجالًا وعلماء وأبطالًا في شتى المجالات، والأمثلة على ذلك كثيرة.

أم الإمام أحمد بن حنبل: فقد نشأ يتيمًا فربّته أمه، يقول: حفظتني أمي القرآن وأنا ابن عشر سنين، وكانت توقظني قبل صلاة الفجر وتحمي لي ماء الوضوء في ليالي بغداد الباردة، وتلبسني ملابسي، ثم تتخمر وتتغطى بحجابها، وتذهب معي إلى المسجد؛ لبُعد بيتنا عن المسجد ولظلمة الطريق».

أم سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث: ربّته أمه، وقالت له: يا بنيّ، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي.

وكذلك أخت الحافظ ابن حجر أمّ بعد الأم! فقد ربّته أخته ستّ الركب بنت علي بن محمد بن حجر، قال ابن حجر عنها: كانت قارئة كاتبة أعجوبة في الذكاء، وهي أمي بعد أمي.

فاظفر بذات الدين، ولا يغرنّك الجمال أو الحسب أو النسب، إذا افتقرت صحابته إلى الدين والخلق، فلا خير يرجى منها، ولا ذرية صالحة

Upload by : altawhedmag.com

تربّى.

قال أبو الأسود الدؤلي لبنيه: قد أحسنت إليكم صغارًا وكبارًا وقبل أن تولدوا! قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نُولد؟ قال: اخترتُ لكم من الأمهات من لا تسبُّون بها. (أدب الدنيا والدين للماوردي: ص٣٠٥).

وأنشد الرياشي:

فأول إحساني إليكم تخيُّري
لماجدة الأعراق باد عفافها

الأساس الثالث: التقارُب في السِّنّ

فعن بريدة قال: خطب أبو بكر وعمر فاطمة -رضي الله عنهم-، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنها صغيرة. فخطبها عليّ، فزوّجها منه» (صحيح سنن النسائي). ولكن: لا نجعل هذا التقارُب عائقًا إن لم يتيسّر؛ فالموازنة في المصالح أمرٌ لا بُدّ منه.

الأساس الرابع: أن تكون وَلُودًا وَدُودًا:

لحديث معقل بن يسار رضي الله عنه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «تزوّجوا الودود الولود، فإني مُكاثر بكم الأمم» (صحيح سنن أبي داود).

الأساس الخامس: أن تكون حانية على ولدها، وراعية على زوجها

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «خير نساء ركبن الإبل: صالحُ نساء قريش: أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يد» (متفق عليه).

والولود تُعرف بأن ننظر في حال أمها وأخواتها المتزوجات، فإن كنّ من الصنف الولود فهي ولود في الغالب؛ ذلك أن للوراثة من الأدوار ما لا يخفى، ومن أجل ذلك أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بالبحث عن المرأة الولود. فعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة، وينهى عن التبتّل نهيًا شديدًا، ويقول: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة». رواه أبو داود والنسائي.

الأساس السادس: التقارب في الثقافة والنسب:

والنسب، وهذا هو ما يُطلق عليه في فقهنا الإسلامي باسم (التكافؤ بين الزوجين)؛ وذلك لحفظ مستوى الحياة الزوجية، والانسجام بين الزوج وزوجه. لكن هذه ليست قاعدة مضطردة.

وهناك شروط أخرى، منها: أن تكون أجنبية؛ لأن ذلك أدعى للألفة والعشرة أكثر من القريبة، لما ذلك من فوائد، منها:

أ- الحفاظ على صلة الرحم وعدم قطعها؛ لأنه في الغالب ما تحدث خلافات بين الزوجين، فلا يُفضي ذلك إلى قطع الرحم.

ب- ليكون الولد أقوى؛ لأنه غالبًا ما يكون المولود من القريبة ضعيف الجسد.

جـ- أن يكون بها نسبة من الجمال؛ لتسكن به نفسه، ويغضّ به بصره، ولتكمل المودة بين الزوجين؛ إن نظر إليها سرته. والجمال نسبي، يختلف من شخص لآخر.

د- أن يكون الزوج قادرًا على تحمُّل المسؤولية.

وخلاصة القول في أمر الزوجة، هو ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، عندما سُئل: أيّ النساء خير؟ قال: «التي تسُرّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره» (صحيح سنن النسائي).

نسأل الله أن يُصلح شباب المسلمين، وأن يُحصّن فروجهم، وأن يُيسّر زواجهم، وأن يحسنوا الاختيار، حتى تنشأ أجيال صالحة، نافعة لأهلها ودينها.

وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى.

Upload by : altawhedmag.com

الدرر الحسان في وصايا الصحابة ومن تبعهم بإحسان

وصايا الصديق أبي بكر في حياته وعلى فراش موته

إعداد: أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فيدعونا ما سبق أن ذكرناه لأبي بكر -من وصايا لأمراء الفتوح؛ وما أفادته من قِيَم سامية في آداب الحرب والتربية العسكرية وما يجب تحريه لاستجلاب أسباب النصر- لأن نستكمل دُرَرَه وجوامعَ كَلِمه وما أضاء الله به عليه من حِكَم؛ الأمة في مسيس الحاجة إليها لتُفيد منها في حاضرها ومستقبلها على نحو ما أفادت بها في ماضيها.

١- وصايا الصديق لعُمّاله وقُوّاد جنده بتقوى الله والإخلاص له:

لقد كان لأبي بكر -من غير وصاياه لفاتحي بلاد الشام- وصايا أخرى لعمرو بن العاص وبنحوها للوليد بن عقبة حين بعثهما على الصدقة؛ جاء فيها: "اتق الله في السر والعلانية؛ فإنه من يتق الله يجعل له مخرجًا.. فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله، إنك في سبيل من سبل الله، لا يسعك فيه الإدهان -يعني: المداهنة والغش والتهاون في الحق- ولا التفريط ولا الغفلة عما فيه قوامُ دينكم، وعصمة أمركم فلا تَنِ ولا تفتر".

ولخالد بن الوليد حين وجهه لقتال أهل الردة، وفيها: "سِرْ على بركة الله؛ فإن دخلت أرض العدو؛ فكن بعيدًا من الحملة، فإني لا آمَن عليك الجولة، واستظهر بالزاد، وسر بالأدلاء، ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه، واحترس من البيات - الهجوم والمباغتة بالليل - فإن في العرب غرة - غفلة وعدم احتراز - وأقلل من الكلام، فإنما لك ما وُعي عنك، واقبل من الناس علانيتهم، وكلهم إلى الله في سريرتهم، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه".

وأخرى لخالد بن سعيد بن العاص وفيها: "إنك امرؤ قد جعل الله لك سابقة في الإسلام، وفضيلة عظيمة، والناس ناظرون إليك، ومستمعون منك، وقد خرجت في هذا

Upload by : altawhedmag.com

الوجه العظيم الأجر، وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه لحسبة ونية صادقة إن شاء الله، فثبّت العالم، وعلّم الجاهل، وعاتب السفيه المترف، وانصح لعامة المسلمين، واخصص الوالي على الجند من نصيحتك ومشورتك ما يحق الله وللمسلمين عليك؛ واعمل لله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، واعلم أنّا عما قليل ميتون ثم مبعوثون ثم مُساءلون ومحاسبون، جعلنا الله وإياك لأنعمه من الشاكرين ولنقمه من الخائفين" ثم أخذ يده فودعه.

ورابعة لهاشم بن عتبة وفيها: "إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره، ومن الشاب بصبره وبأسه ونجدته، وإن الله عز وجل قد جمع لك تلك الخصال كلها، وأنت حديث السن مستقبل الخير؛ فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر، واعلم أنك لا تخطو خطوة، ولا تنفق نفقة، ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة -أي: جوع- في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحًا، إن الله لا يضيع أجر المحسنين".

والحق أن جملة هذه الوصايا تمثل قواعد أساسية في حروب المسلمين، بحيث لا تأخذهم الحمية ضد عدوهم فيحيدون عنها، وتَنُمُّ عن فقه عميق في سياسة الدين والدنيا، وتدل على دراية الموصي وخبرته بدقائق الأمور العسكرية وتفصيلاتها، وقد توّج الحاكم وصاياه ونصائحه بالتأكيد على أمر التقوى والصلاة، ليظل الجندي والقائد على اتصال بالله يطلبون منه العون والمدد، فتقوى عزائمهم ويتعمق اليقين في قلوبهم عند اللقاء ومواجهة الأعداء، وهكذا يتحقق النصر ويكتب لهذا الجيش ولمن سار على هديه من جيوش المسلمين على مر العصور والدهور: الفوز والغلبة على الأعداء، كما أنها تُذكّر بواجبات القائد نحو جنده ونحو عدوه، وتمنعه من التعرض للمتدينين الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع احترامًا لدينهم، فهي من ثم من أحسن الوصايا وأكثرها نفعا لولاة الأمر وقادة الجند.

٢-وصية الصديق قبل وفاته لعمر بن الخطاب وما يفاد منها:

وثمة درسٌ للصّديق في الزهادة في تولية إمارات المسلمين نستشفها من وصيته قبيل وفاته، لعمر بن الخطاب؛ فقد فكّر الصديق أبو بكر أثناء مرضه في حال المسلمين من بعده، وجعل يستشير أصحابه فيمن يخْلُفه، وألهمه الله الرأي؛ وأنه لا سبيل إلى ملافاة ما جرى من حوارٍ وخلافٍ إبّان سقيفة بني ساعدة؛ إلا أن يستخلف من يقوم بالأمر من بعده، وأن يجمع كلمة المسلمين عليه، وإن كان هذا أمر لم يصنعه رسول الله لحكمة ما.

"وبعدَ أن علم الفاروق أن أبا بكر قد اختاره خليفة له على المسلمين، دخل عليه عمر حزينًا وهو على فراش المرض فبادره أبو بكر بقوله: (إني قد استخلفتُك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوصيك بتقوى الله)، فقال له عمر: (قد استشرتَ الناس فيّ ولم تستشرني في نفسي، فإني والله ما أريدها)، فقال أبو بكر: (لو علمتُ أنك تريدها ما وليتُك)، قال عمر: (أقلني يا أبا بكر)، قال أبو بكر: (والله لا أفعل وقد رضي بك أصحاب رسول الله، ولو لم يكن إلا أن أحملك عليها بالسيف لفعلتُ، فاسكتْ وادن مني أوصك)".

فانظر -يا رعاك الله- وتأمل كيف كان زهد عمر وهو من هو، في تولي إمارة المسلمين وتحمل مسئوليتهم، وقارن بينه وبين من

Upload by : altawhedmag.com

لا يساوي في عمر مثقال ذرة ولا حتى قدر شعرة أو قلامة ظفر من أولئك المنكبين -من جماعات الشر والتكفير ومن لا دراية له بما يحيكه أعداء الأمة بالداخل والخارج- على ولايات المسلمين وتداعيهم عليها كما تداعي الأكلة على قصعتها.

على الرغم من عدم جواز توليتهم أصلًا أمور المسلمين لا ابتداءً ولا اختيارًا، لما "أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم؛ لأن معهم -على حدّ قول شيخ الإسلام ابن تيمية في (السياسة الشرعية ٢١٨/١)- دينًا فاسدًا لا يصلح به دنيا ولا آخرة"، ولأنهم كذلك من قال فيهم بأبي هو وأمي: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان).

ويتابع راوي وصية الصديق إبان مرضه للفاروق -بشأن تولية إمارة المسلمين- فيقول: "ثم أمسك أبو بكر بيد عمر بن الخطاب وقال له: (اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملًا بالنهار لا يقبله بالليل، وعملًا بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تُؤدى الفريضة".

وفي شرحه لمقصود أبي بكر في وصيته تلك بحق الله بالليل وبالنهار، يقول شيخ الإسلام في (مجموع الفتاوى: ٢٨/٢٢): "لا يجوز تأخير صلاة النهار إلى الليل، ولا يؤخر صلاة الليل إلى النهار لشغل من الأشغال، لا لحرث ولا لصناعة، ولا لجنابة ولا نجاسة؛ ولا صيد ولا لهو ولا لعب ولا لخدمة أستاذ، ولا غير ذلك، بل المسلمون كلهم متفقون على أن عليه أن يصلي الظهر والعصر بالنهار، ويصلي الفجر قبل طلوع الشمس، ولا يُترك ذلك لصناعة من الصناعات، ولا للهو ولا لغير ذلك من الأشغال؛ وليس للمالك أن يمنع مملوكه، ولا للمستأجر أن يمنع الأجير من الصلاة في وقتها".

كما ذكر ابن تيمية ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخصوص في الصحيحين: (من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله)، وروى رحمه الله قصة تأخير النبي صلاة العصر يوم غزوة الخندق ثم صلاها بعد المغرب فأنزل الله تعالى قوله: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين» (البقرة: ٢٣٨)". وأعقب يقول: "وهذا كله لأن فعل الصلاة في وقتها فرض، والوقت أوكد فرائض الصلاة، كما أن صيام شهر رمضان واجب في وقته، ليس لأحد أن يؤخره عن وقته، ولكن يجوز الجمع بين الظهر والعصر بعرفة وبين المغرب والعشاء بمزدلفة باتفاق المسلمين، وكذلك يجوز الجمع بين صلاة المغرب والعشاء وبين الظهر والعصر عند كثير من العلماء للسفر والمرض ونحو ذلك من الأعذار".

ويستكمل أبو بكر وصيته لعمر، فيقول: "وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة؛ باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم، وحُقّ لميزان يوضع فيه الحق غدًا أن يكون ثقيلًا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة؛ باتباعهم الباطل في دار الدنيا وخفته عليهم، وحُقّ لميزان يوضع فيه الباطل غدًا أن يكون خفيفًا، وإنما نزلت آية الرخاء مع الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء، ليكون المؤمن راغبًا راهبًا؛ لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه إلى التهلكة"؛ وما أحوجنا وشبابنا على جهة الخصوص؛ بمثل هذه الكلمات الدرر التي لا تخرج إلا من أفواه طاهرة وتجارب مريرة.

يقول: "وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة؛ فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن

Upload by : altawhedmag.com

سيئاتهم، فإذا ذكرت أهل الجنة فقل: (إني لأخاف أن لا ألحق بهم) - وفي رواية: (فإذا ذكرتهم فقل: فأين يقع عملي من عمل هؤلاء، وذلك لأن الله تعالى تجاوز عن أعمالهم السيئة فلم يفضحهم بها) - وإن الله تعالى ذكر أهل النار؛ فذكرهم بأسوأ أعمالهم وردّ عليهم أحسنه، فإذا ذكرت أهل النار فقل: (إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء)، ليكون العبد راغبًا راهبًا لا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمته عز وجل، وارفق بالمسلمين، وأنصف بعضهم من بعض؛ وأنصفهم من نفسك".

إلى أن قال: ".. فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت؛ وهو آتيك - أو قال: ولابد لك من لقائه - وإن أنت ضيعت وصيتي؛ فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت؛ ولست بمعجزه".

وقد روى الطبراني من طريق الأغر أبي مالك هذه الوصية، لكن بلفظ: "لما أراد أبو بكر أن يستخلف عمر، بعث إليه فدعاه فقال: (إني أدعوك إلى أمر مُتعب لمن وليه، فاتق الله يا عمر بطاعته وأطعه بتقواه، فإن التُقى أمرٌ محفوظ، ثم إن الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به، فمن أمر بالحق وعمل بالباطل؛ وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر؛ يوشك أن تنقطع أمنيته وأن يحيط به عمله، فإن أنت وُليت أمرهم فإن استطعت أن تجف يدك من دمائهم؛ وأن تضمر بطنك من أموالهم؛ وأن تجف لسانك عن أعراضهم؛ فافعل، ولا حول ولا قوة إلا بالله)".

وكان أن توجه الصدّيق بالدعاء له قائلًا: "اللهمّ إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفتُ عليهم الفتنة، فعملتُ فيهم ما أنت أعلمُ به، واجتهدتُ لهم رأيي، فوليتُ عليهم خيرهم وأقواهم عليه، وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلُفني فيهم، فهم عبادُك ونواصيهم بيدك، فأصلح لهم أميرهم، واجعلْه من خلفائك الراشدين، يتبع هدى نبيّ الرحمة، وهدى الصالحين بعده، وأصلح له رعيته".

٣- مجمل ما تضمنته وصايا الصديق والدروس المستفادة منها:

وما من شك في أن هذه الوصايا السبعة والمتمثلة في: (تقوى الله.. وتأدية العبادات والأعمال في أوقاتها.. وتقديم الفريضة على النافلة.. واتباع الحق وتجنب الباطل ليثقل ميزان العبد يوم القيامة.. والخوف من ألا يلحق المرء بأهل الجنة.. والرجاء في ألا يكون من أهل النار.. والإقبال على الله بقلب راغب غير آيس من رحمته)، تمثل حجر زاوية ونقطة انطلاق لكل من كان مبتغاه رضوان الله والجنة، والزهد في هذه العاجلة؛ والرغبة فيما عنده سبحانه وفيما أعده لعباده في الباقية، وهذا ما كان عليه خلفاؤنا الراشدون.

فعن عائشة قالت: "لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه، قال: (انظروا ما زاد في مالي منذ دخلتُ في الإمارة؛ فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي)، فنظرنا فإذا عبدٌ نوبيٌ كان يحمل صبيانه، وإذا جملٌ كان يسقي بستانًا له، فبعثنا بهما إلى عمر.. قالت: (فأخبرني جدي أن عمر بكى؛ وقال: رحمة الله على أبي بكر؛ لقد أتعب من بعده تعبًا شديدًا)".

وعنها قالت: "لما ثقُل أبو بكر، قال: (أي يوم هذا؟)، قلنا: يوم الاثنين، قال: (فإني أرجو ما بيني وبين الليل)، قالت: وكان عليه ثوب، فقال: (إذا أنا متُّ فاغسلوا

Upload by : altawhedmag.com

ثوبي هذا وضُمُّوا إليه ثوبين جديدين، وكفنوني في ثلاثة أثواب)، فقلنا: أفلا نجعلها جُددًا كلها، قال: (لا)، فمات ليلة الثلاثاء، بين المغرب والعشاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين، وأوصى أن تغسله أسماء زوجته فغسّلته، وأن يُدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر، ونزل في حفرته ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة بن عبيد الله.

وورد في تأبين عليٍّ لأبي بكر رضي الله عنهما أنه لما سمع بخبر وفاته جاء باكيًا مسرعًا مسترجعًا حتى وقف بالباب وهو يقول -وتلك رسالة لمن يتقربون إلى الله بلعن الصّديق-: "رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلفَ رسول الله وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سرّه ومشورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدّهم يقينًا، وأخوفهم لله وأعظمهم غَناءً في دين الله، وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأحدبهم -أعطفهم وأشفقهم- على الإسلام، وآمنهم على أصحابه؛ وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب وأكثرهم سوابق؛ وأرفعهم درجة؛ وأقربهم وسيلة؛ وأشبههم هديًا وسمتًا، ورحمةً وفضلًا؛ وأشرفهم منزلة؛ وأكرمهم عليه؛ وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرًا، صدّقت رسول الله حين كذبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وسمّاك الله في كتابه صديقا، فقال: «والذي جاء بالصدق وصدّق به» (الزمر: ٣٣) يريد: محمدًا ويريدك.

كنت والله للإسلام حصنًا وللكافرين ناكبًا، لم تُضْلُل حجتك ولم تضعُف بصيرتُك ولم تجبن نفسُك، كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، وكنت كما قال رسول الله ضعيفًا في بدنك قويًّا في دينك، متواضعًا في نفسك عظيمًا عند الله، جليلًا في الأرض كبيرًا عند المؤمنين، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى، فالضعيف عندك قوي والقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق من القوي وتعطيه للضعيف، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلّنا بعدك" ا.هـ باختصار.. وينظر في الأثر (الثقات) لابن حبان ١٩٣/٢ و(الشريعة) للآجري ١٧٢٩/٤ و(الأحاديث المختارة) لضياء الدين المقدسي ١٣/٢ وقد أسهب في روايته، و(شجرة النور الزكية في طبقات المالكية) ٥١/٢ لمخلوف محمد، وقد ساق عليها إجماع الرواة.

كما يُنظر في جملة وصايا الصديق: تاريخ الطبري ٢٩/٤ والعقد الفريد ٤٠/١ والكامل لابن الأثير ١٩٦/٢ وفتوح الشام ٧/١ ومجمع الزوائد ٢٢٠/٤ وتاريخ ابن عساكر ١٢٩/١ وحياة الصحابة ٣٥٦/٢ وجمهرة خطب العرب ١٩٥/١ وما بعد هذه الصفحات

رحم الله خليفتي رسول الله عليه السلام وعليهما الرضوان، فقد أظهرا أثر تأديبه صلى الله عليه وسلم وتربيته لهما ولسائر لأصحابه، ومن ثم لم يكن رحيلهما بالأمر السهل على المسلمين.

وللحديث صلة بإذن الله تعالى.

Upload by : altawhedmag.com

آية الكرسي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد روى الإمام مسلم من حديث أُبَي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: «اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» قال: فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر».

فآية الكرسي أعظم آية في القرآن الكريم؛ لأنها جمعت من أصول الأسماء والصفات الإلهية ما ليس مجموعًا في غيرها من آيات القرآن، ومما جاء في فضل هذه الآية المباركة ما رواه النسائي وابن حبان وصححه الألباني من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ آية الكرسي دُبُر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت».

وكذلك ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على حفظ الزكاة فتفلت عليه شيطان ليسرق من مال الصدقة.. وفيه أنه قال له: «دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها». قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، : فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فلما أخبر

إعداد الشيخ / إبراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

أبو هريرة النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أما إنه صدقك وهو كذوب» القصة بتمامها من رواية البخاري رحمه الله.

وهذه الآية المباركة اشتملت على عشر جمل مفيدة ولا يشبهها في عدد الجمل سوى آية واحد هي الآية الخامسة عشرة من سورة الشورى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا

Upload by : altawhedmag.com

أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير» (الشورى: ١٥)، وهاتان الآيتان مع تشابههما في عدد الجمل؛ فإنهما يتشابهان أيضًا في حديثهما عن توحيد الله سبحانه وتعالى، فآية الكرسي حديث عن التوحيد العلمي؛ حيث إنها تُعرِّف بالله سبحانه وتعالى، وأسمائه وصفاته وآية الشورى تتحدث عن التوحيد العملي حيث هي دعوة إلى إفراد الله بالوحدانية وعدم اتخاذ الأنداد وعدم الاستجابة لأهواء المشركين الذين يدعون غير الله ويصرفون العبادة لغيره.

- «الله لا إله إلا هو ...» لفظ الجلال (الله) علَم على ذات الإله سبحانه وتعالى الموصوف بكل صفات الكمال والجلال والجمال، فهو سبحانه الإله المعبود الذي لا معبود بحق غيره، فهو سبحانه المستحق للعبادة وحده لا يستحقها معه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح؛ فهو سبحانه القائل: «رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميًا» (مريم: ٦٥). وفي الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». رواه مسلم.

- «الحيُّ القيُّومُ»: اسمان جليلان من أسماء ربنا سبحانه وتعالى وردا في القرآن في ثلاثة مواضع، في هذا الموضع وفي أول سورة آل عمران، «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» (آل عمران: ٢)، والموضع الثالث في سورة طه: «وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلمًا» (طه: ١١١)؛ فحياة ربنا سبحانه أزلية أبدية لم يسبقها عدم ولا يلحقها زوال، وهو سبحانه لا يحتاج إلى أحد من عباده، بل الخلق جميعًا أحوج ما يكون إليه: «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد» (فاطر: ١٥)، فهو سبحانه القيوم القائم بنفسه والقائم بأمور جميع خلقه، فجميع المخلوقات مفتقرة إليه ولا قوام لها بدونه، وهذه القيومية مستلزمة لجميع أفعال الكمال، كما أن حياته سبحانه مستلزمة لجميع صفات الكمال.

- «لا تأخذه سنة ولا نوم...»، والله سبحانه من كمال حياته وقيوميته فإنه لا يعتريه نُعاس ولا يغلبه نوم، فالنعاس مقدمات النوم، والنوم موت، والله سبحانه لا يلحقه الموت ولا يعتريه النعاس، فكيف بالإله الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت كيف له أن ينام؟ فالنوم مستحيل في حقه لأنه نقص وضعف، والله سبحانه وتعالى مُنزَّه عن ذلك. وفي الحديث الشريف: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». رواه مسلم.

- «له ما في السماوات وما في الأرض...» له سبحانه كمال الملك في السماوات وفي الأرض لا يشاركه فيه غيره، لذلك حمد نفسه سبحانه على خلق السماوات والأرض كما حمد نفسه على امتلاكه لما في السماوات والأرض قال تعالى: «الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» (الأنعام: ١)، وقال تعالى: «الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير» (سبأ: ١)، فهو سبحانه المالك لجميع ما في الكون ولا يتجاسر أحد أن يزعم مشاركته لله في ملكه، قال تعالى: «قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير» (سبأ: ٢٢).

- «من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ...»، وربنا سبحانه وتعالى لكمال حياته وقيوميته وكمال مُلكه لا يجرؤ أحد على الشفاعة عنده إلا بإذنه.

Upload by : altawhedmag.com

فالشفاعة له وحده سبحانه، كما قال تعالى: «قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (الزمر: ٤٤)، فالشفاعة المطلقة الكاملة له وحده ثم يأذن بها لمن يشاء من عباده، وشفاعة غيره مُقيَّدة بإذنه سبحانه ورضاه؛ إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له، يقول تعالى: «وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ» (النجم: ٢٦)، والله سبحانه لا يرضى إلا عن أهل التوحيد الخالص كما في حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله مَن أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من نفسه».

- «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ...»؛ فالله سبحانه وتعالى يعلم جميع أمور خلقه ماضيها وحاضرها ومستقبلها، فلا يغيب عن علم ربنا شيء كان صغيرًا أو كبيرًا: «عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» (سبأ: ٣)، ويقول تعالى: «وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» (الأعراف: ٨٩).

- «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ»؛ وكل ما في الكون لا يعلمون من علم الله شيئًا إلا ما علَّمهم إياه بمشيئته سبحانه. «وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» (الإسراء: ٨٥)، وفي صحيح البخاري من حديث موسى عليه السلام مع الخضر: «والله ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطير بمنقاره من البحر».

- «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»؛ قيل: إن الكرسي هو موضع قدميه سبحانه وتعالى، وهذا الكرسي قد أحاط بالسماوات والأرض رغم اتساعهما وعظمتهما، وهذا الكرسي لا يُقاس إلى جوار عرش الرحمن سبحانه وتعالى، فما بالكم بالرحمن سبحانه الذي استوى على العرش؟!

- «وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا» أي لا يشق عليه سبحانه وتعالى حفظ السماوات ولا يثقله ذلك، بل هو سبحانه الذي «يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا» (فاطر: ٤١)، وهو سبحانه الذي «يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحج: ٦٥). فالله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعيَ بخلقهن قادر على حفظهما وحفظ ما فيهما ومن فيهما لا يعجزه ذلك سبحانه وتعالى.

- «وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» اختتم ربنا سبحانه هذه الآية العظيمة بهذين الاسمين العظيمين؛ لإثبات علوه على جميع خلقه فهو سبحانه ذو العلو المطلق، فهو سبحانه عَليّ بذاته فوق عرشه بائن من خلقه بقهره، وكمال صفاته، وهو سبحانه ذو العظمة المطلقة في ذاته وصفاته وسلطانه، وكل ما سواه قليل بالنسبة إليه، فلا شيء أعظم منه سبحانه تقدست أسماؤه وجل في علاه؛ فله الكمال المطلق والعلو الدائم والعظمة التامة.

- فما أعظم هذه الآية المباركة وحق لهما أن تكون سيدة آي القرآن بما احتوته من أسماء حسنى وصفات عليا لله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

إعداد
د. محمد عبد العزيز
رئيس فرع العاشر

الحمد لله وكفي، والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى، ومن تبع هديه واقتفى، أما بعد:

فقد أقام الإسلام العلاقات بين الزوجين على أساس من العدل قويم؛ فجعل للزوج حقوقًا يجب على الزوجة أداؤها. وقد رغَّبها الإسلام في امتثالها، فهي مُتعبَّدة بذلك تُثاب وتُؤجَر عليه، فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا صلت المرأة خَمسها، وصامت شَهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أيّ أبواب الجنة شئت» (أخرجه أحمد (١٦٦١)).

وجعل للزوجة على زوجها حقوقًا يجب على الزوج أداؤها، وقد أكدت هذه الحقوق حتى وصَّى بها النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان الزوج كرهًا من زوجته بعض الخُلق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خُلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء» (أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (٣٦٣٨) (٦٢)).

وعن سليمان بن عمرو بن الأحوص، قال: حدثني أبي: أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر، ووعظ، فذكر في الحديث قصة؛ فقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا. فأما حقكم على نسائكم فلا يُوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون. ألا وحقهن عليكم أن تُحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن». (أخرجه الترمذي (١١٦٣)، والنسائي في الكبرى (٩٣٢١)، وابن ماجه (١٨٥١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح).

Upload by : altawhedmag.com

وقد جعل الله للزوجين حقوقًا مشتركة يجب عليهما أداؤها، قال تعالى: «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» (البقرة: ٢٢٨).

ثم جعل بعد هذه الحقوق المنصوصة المعروف أصلاً من أصول العشرة بين الزوجين إليه يرجعان في حال الوفاق والخلاف؛ قال الله تعالى: «وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا» (النساء: ١٩).

ثم أمر الزوجين بالإحسان والتعامل بالفضل فوق التعامل بالمعروف خاصة إذا احتدم الخلاف بينهما واستحالت العشرة؛ قال الله تعالى: «ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير» (البقرة: ٢٣٧)، وقال: «الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» (البقرة: ٢٢٩).

والحقوق والالتزامات والتبعات في الزواج أكثرها على الرجل، ولذا جعل الله له القوامة على المرأة، هذا بجانب ما حباه الله به من صفات مؤهلة لحمل هذا التكليف؛ قال الله تعالى: «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» (النساء: ٣٤)، وقال: «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» (البقرة: ٢٢٨).

ومن قوامة الرجل أن جعل الله حلّ عُقدة النكاح بيده إن استحالت العشرة بين الزوجين، قال الله تعالى: «وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير» (البقرة: ٢٣٧)؛ فبيّن الله أن عقدة النكاح بيد الرجل لا بيد المرأة.

ثم شرع للطلاق أحكامًا وضوابط يجب على الرجل أن يمتثلها:

فلا يجوز له أن يطلق المرأة بلا سبب أو حاجة مع استقامة الحياة الزوجية فهو أمر محظور؛ لما فيه من ضرر لا مُبرّر له.

وإن استحالت العشرة الزوجية واحتدم الخلاف، وكان في استدامة عقد النكاح ضرر محض أو قريب منه، وعزم الزوج على الطلاق حَرُم عليه:

أن يطلق في طُهر جامع فيه.

أن يُطلق في أثناء فترة حيض المرأة.

شُرع له أن يُشهد على طلاق زوجته إن هو طلقها، وعلى رجعتها إن هو راجعها.

ومن أدلة ما سبق قوله تعالى: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا (١) فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجًا (٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب» (الطلاق: ١ - ٣).

حرم عليه أن يجمع أكثر من طلقة في آن واحد؛ فهذا من اتخاذ آيات الله هزوًا، ودليل ذلك قوله تعالى: «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارًا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوًا» (البقرة: ٢٣١).

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: «أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا، فقام غضبانًا، ثم قال: أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟! حتى قام رجل، وقال: يا رسول الله: ألا أقتله؟» (أخرجه النسائي (٣٤٠١)).

وكما جعل الله أحكامًا وضوابط لا يجوز للزوج أن يتعدّاها عند إرادة إيقاع الطلاق عند استحالة العشرة الزوجية، حرّم الله على المرأة أن تطلب فراق زوجها في غير ما بأس فتكون سببًا في تفريق شمل الأسرة وهدمها، فعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيما امرأة سألت زوجها طلاقًا من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة» (أخرجه الترمذي (١١٨٧)، وقال: هذا حديث حسن).

وكما حرم على المرأة طلب الطلاق في غير بأس، حرّم عليها أيضًا طلب الخلع في غير بأس، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

Upload by : altawhedmag.com

الله عليه وسلم: «المختلعات هن المنافقات»: (أخرجه الترمذي (١١٨٦)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي). ومع ذلك فقد شرع الله للمرأة الخلع إن كرهت زوجها، أو خافت ألا تؤدي حقه عليها، وهو موضوع هذا المقال، وكل ما سبق إنما هو توطئة بين يدي هذا الموضوع، وهو مقال تقريري، أعرض فيه لأحكام وضوابط الخلع في الفقه الإسلامي، ثم أعرض لأحكام الخلع في قانون الأحوال الشخصية (المادة: ٢٠، من قانون رقم: ١، لسنة: ٢٠٠٠م الخاص بتنظيم بعض أوضاع وإجراءات التقاضي في مسائل الأحوال الشخصية) موزنًا بينه وبين أحكام الخلع في الفقه الإسلامي.

وسأكتفي في هذا المقال:

بتعريف الخلع.

بيان دليل مشروعية الخلع.

أولاً: تعريف الخلع:

الخلع لغة: بفتح الخاء النزع والإزالة، ومنه قولهم: خلع الرجل ثوبه، أي: نزعه من على بدنه، ومنه قولهم: خلع الأميرُ واليه، أي: أزال ولايته.

وهو بالضم خاص بإزالة الزوجية من قبل المرأة، يقال: خلعت المرأة زوجها، أي: أزالت الزوجية ونزعتها كما تنزع اللباس عنها.

وسمي خلعًا لأن الله شبه الزوجة باللباس لزوجها، وشبه الرجل باللباس لزوجته دلالة على شدة القرب بينهما وحدوث السكن والطمأنينة، قال تعالى: «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ» (البقرة: ١٨٧)، فإذا فارقت الرجل افتداءً فقد خلعت هذا اللباس وأزالته عنها.

والطلاق والخلع كلاهما فُرقة وإزالة لهذا اللباس، لكن اختص هذا الفراق باسم الخلع دون الطلاق؛ لأن المرأة تفتدي نفسها منه بشيء تبذله له، قال الله تعالى: «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ» (البقرة: ٢٢٩).

تعريف الخلع شرعًا:

اختلفت تعريفات أهل العلم للخلع لفظًا وإن تقاربت معنًى، وسأعرض لبعضها بما لا يخرج بهذا المقال عن قصده.

الخلع عند الحنفية: إزالة ملك النكاح، المتوقفة على قبولها، بلفظ الخلع أو ما في معناه. (البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم (٤/ ١١٩)).

يؤخذ من هذا أن الخلع:

مُزيل لعقد النكاح.

وليس في التعريف: بيان نوع الفُرقة إن كانت رجعية أم بائنة. ولا بيان إن كانت فسخًا أو طلاقًا.

أن إزالة العقد متوقف على قبول المرأة؛ لأنه عقد معاوضة.

أن الخلع له لفظ مخصوص يقع به.

أن الخلع يقع بغير اللفظ المخصوص مما في معناه.

وليس في التعريف اشتراط العوض لصحة الخلع، واشتراطه هو المذهب.

الخلع عند المالكية: طلاق بعوض، ولو من غير زوجة. (الشامل في فقه الإمام مالك، لبهرام (١/ ٣٨٦)).

يؤخذ من هذا التعريف:

أن الخلع طلاق، ولو كان بلفظ مخصوص.

أن الخلع يُشترط فيه العوض.

أن العوض يصح أن يكون من غير الزوجة.

وليس في التعريف: بيان نوع الطلقة إن كانت رجعية أم بائنة.

وليس في التعريف: اشتراط موافقة الزوجة.

الخلع عند الشافعية: فُرقة بين الزوجين، ولو بلفظ مفاداة، بعوض مقصود، راجع لجهة الزوج. (الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، للخطيب الشربيني (٢/ ٤٣٤)).

يُؤخذ من هذا أن الخلع:

(١) فُرقة بين الزوجين، وليس في التعريف: بيان نوع الفرقة إن كانت رجعية أم بائنة. ولا بيان إن كانت فسخًا أو طلاقًا، وسيأتي تفصيل ذلك.

Upload by : altawhedmag.com

(٢) وليس في هذا التعريف ممن تقع الفُرقة من: الزوجة، أو من الزوج، أو من القاضي.

(٣) أن الخلع يصح بلفظه الخاص، ويصح بلفظ المفاداة.

(٤) أن الخلع لا يكون إلا بعوض مقصود.

(٥) أن العوض يكون للزوج.

الخلع عند الحنابلة: فراق الزوج امرأته بعوض. (الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة (٣/ ٩٥)).

يُؤخذ من هذا التعريف:

(١) أن الفراق من قِبَل الزوج.

(٢) أن هذه الفُرقة لا تكون إلا عن عوض.

وليس في التعريف:

بيان نوع الفُرقة إن كانت رجعية أم بائنة.

ولا بيان إن كانت فسخًا أو طلاقًا.

ولا اشتراط موافقة الزوجة.

والذي يُؤخذ من جملة هذه التعريفات دون وقوف طويل معها:

أن الخلع فرقة بائنة.

أن له لفظًا مخصوصًا يقع به، وبما في معناه.

أنه يشترط في الخلع العوض.

أنه لا يشترط أن يكون العوض من الزوجة.

أن المُوقع للخلع الزوج بلفظه.

وليس في أغلبها هل الخلع طلاق أم فسخ؟ وهو عند الجمهور طلاق، وقد صرح بذلك المالكية في تعريفهم.

وليس فيها بيان حكم الخلع إن لم يكن بين الزوجين شقاق.

ثانيًا: دليل مشروعية الخلع:

الخلع مشروع عند جمهور أهل العلم، وقد ادَّعى بعض أهل العلم مشروعيته بإجماع، وقد دلَّ على مشروعيته: الكتاب، والسنة.

من أدلة الكتاب على مشروعية الخلع:

قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ (البقرة: ٢٢٩).

بيَّنت الآية جواز أخذ المال أو الفداء في مقابل طلاق المرأة؛ فعن طاووس قال: «كنت عند ابن عباس إذ سأله إبراهيم بن سعد فقال: إني أستعمل هاهنا وكان ابن الزبير يستعمله على اليمن علي السعايات فعلّمني الطلاق، فإن عامة تطليقهم الفداء.

فقال ابن عباس: ليست بواحدة، وكان يُجيزه يفرق به.

قال وكان يقول: إنما هو الفداء، ولكن الناس أخطؤوا اسمه.

قال طاووس: فراددت ابن عباس بعد ذلك، فقال: ليس الفداء بتطليق.

وكنت أسمع ابن عباس يتلو في ذلك: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾، ثم يقول: ﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾، ثم ذكر الطلاق بعد الفداء.

قال: وكان يقول: ذكر الله الطلاق قبل الفداء وبعده، وذكر الله الفداء بين ذلك فلا أسمعه ذكر في الفداء طلاق».

وموضع الشاهد فيه قوله: "وكان يجيزه يُفرق به". ويحتج على ذلك بالآية.

من أدلة السنة على مشروعية الخلع:

عن ابن عباس رضي الله عنه: «أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله: ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خُلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتردين عليه حديقته؟

قالت: نعم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقبل الحديقة وطلّقها تطليقة» (أخرجه البخاري (٥٢٧٣)).

عن الربيع بنت معوذ بن عفراء، أخبرته: «أن ثابت بن قيس بن شماس ضرب امرأته فكسر يدها، وهي جميلة بنت عبد الله بن أبي.

فأتى أخوها يشتكيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

Upload by : altawhedmag.com

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت فقال له: خذ الذي لها عليك وخل سبيلها. قال: نعم. فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتربص حيضة واحدة، فتلحق بأهلها» (أخرجه النسائي (٣٤٩٧)) عن حبيبة بنت سهل الأنصارية: «أنها كانت تحت ثابت بن قيس بن الشماس، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصبح، فوجد حبيبة بنت سهل عند بابه في الغلس. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من هذه؟

فقالت: أنا حبيبة بنت سهل.

قال: ما شأنك؟

قالت: لا أنا ولا ثابت بن قيس -لزوجها -.

فلما جاء ثابت بن قيس قال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: هذه حبيبة بنت سهل، وذكرت ما شاء الله أن تذكر.

وقالت حبيبة: يا رسول الله: كل ما أعطاني عندي.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لثابت بن قيس: خذ منها.

فأخذ منها، وجلست في أهلها» (أخرجه أبو داود (٢٢٢٧)، والنسائي (٣٤٦٢)).

دلالة الإجماع على مشروعية الخلع:

نقل الإجماع على مشروعية الخلع في الجملة جمعٌ من أهل العلم، منهم: الماوردي (٤٥٠ هـ) في الحاوي (١٢/ ٢٥٧)، وابن قدامة (٦٢٠ هـ) في المغني (١٠/ ٢٦٨)، والنووي (٦٧٦ هـ) في روضة الطالبين (٦/ ٣٥١)، وابن تيمية (٧٢٨هـ) في مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٨٢)، وابن حجر (٨٥٢ هـ) في فتح الباري (٩/ ٤٧٧)، وغيرهم.

وقال ابن القطان (المتوفى: ٦٢٨هـ) في الإقناع في مسائل الإجماع (٢/ ٣٧): «وأجمع جمهورهم أن الخلع والفدية والصلح جائز بين الزوجين في قطع العصمة بينهما.

وأن ما أعطته على ذلك حلال إذا كان على مقدار الصداق فما دونه، وكان من غير إضرار منه بها ولا إساءة إليها، إلا بكر بن عبد الله المزني فإنه شذ فقال: لا يحل له أن يأخذ منها شيئًا على حال».

وقد شذا بكر بن عبد الله المزني فقال: بعدم جواز الخلع، وذكر أنه من الأحكام المنسوخة.

ثم إن أهل العلم اختلفوا في كثير من الأحكام التفصيلية في الخلع على الرغم من اتفاقهم على أصل جوازه، وقد لخص ابن حزم الأندلسي (المتوفى: ٤٥٦ هـ) هذه المسائل تلخيصًا جيدًا، وسأسوق قوله على طوله لأهميته، قال في مراتب الإجماع (ص ٧٥٧): «ثم اختلفوا بعد ذلك في الخلع بما لا سبيل إلى ضم إجماع فيه لأن: في العلماء من قال الخلع كله لا يجوز أصلاً، والآية الواردة فيه منسوخة بقوله تعالى: «وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا» (النساء: ٢٠).

وقال بعضهم: الخلع جائز بتراضيهما وإن لم تكن كارهة له، ولا هو لها.

وقال بعضهم: الخلع لا يجوز إلا بأمر السلطان.

وقال بعضهم: لا يجوز إلا بعد أن يجد على بطنها رجلاً.

وقال بعضهم: لا يجوز إلا بعد: أن يعظها، ويضربها، ويهجرها.

وقال بعضهم: لا يجوز إلا بعد ألا تغتسل له من جنابة.

وقال بعضهم: حتى تقول لا أغتسل لك من جنابة، ولا أطيع لك أمرًا.

وقال بعضهم: لا يجوز إلا بأن تُكرهه هي، ولا يضُر هو بها، أو يخاف أن يُعرض عنها وهو لم يُعرض بعدُ.

وقال بعضهم: هو طلاق، وقال بعضهم: ليس طلاقًا.

وغير هذا من الاختلاف فيه كثير جدًا».

هذا ما وسعه المقام في هذا المقال، فإن كان صوابًا فالحمد لله وحده، وإن كانت الأخرى فأستغفر الله، وإلى لقاء آخر نستكمل فيه البحث إن شاء الله تعالى.

Upload by : altawhedmag.com

تعلمتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وضع الرجل المناسب في المكان المناسب

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على معلم البشرية رسول الله.

وبعد: فمن المعلوم من الدين ضرورة أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول والأخير لتلك الأمة التي أرسله الله تعالى إليها، فهو عليه الصلاة والسلام في أمته أول المؤمنين والمعلمين، ولن يأتي أحد بعده يستدرك عليه في تعليمه. ولهذا وصف الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه النبي في تعليمه بقوله: «فبأبي هو وأمي، ما رأيت مُعلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه». صحيح مسلم ح٥٣٧.

وما أروع قوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه وهو يبين مكانته ومسئوليته التعليمية في الأمة حيث قال: «إنما أنا لكم مثل الوالد؛ أعلمكم». مسند أحمد ح٧٤٠٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده قوي.

وما أحسن توظيف وتكليف الله تعالى له للقيام بتلك المهمة التعليمية السامية حين ابتعثه الله، وأوحى إليه أن يعلم الناس الكتاب والحكمة، ويبين لهم ما نُزل إليهم من ربهم، فقال جل جلاله: «هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين» (الجمعة: ٢). ولقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم وجوب وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ولا تجوز المجاملة في ذلك ولا المحاباة؛ لأن من وراء ذلك الفساد الكبير، والشر المستطير.

إن وضع الرجل غير المناسب في المكان الذي لا يستحقه يرفع من مقام الوضيع، وينقص من مقام الفاضل. فعندما يدير الشخص غير المناسب أي قطاع أو منظومة فإنه يحارب الكفاءات حتى لا يظهر أحد بجواره يخطف منه الأضواء، فيحاربه بالتهميش تارة وبالإقصاء تارة وبالكذب والافتراء والكيد تارة أخرى.

ووضع شخص في غير موقعه ومنحه حقاً ليس له بأهل مع العلم بقدرة شخص آخر أجدر وأحق به يُعدّ من الظلم وخيانة الأمانة، وهو محرم شرعاً؛ لما ينتجه من ضياع الحقوق وفساد الإدارات والمجتمعات؛ عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استعمل عاملاً على قوم، وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله، وخان رسول الله صلى الله عليه وسلم».

Upload by : altawhedmag.com

وخان جميع المسلمين» السنة لابن أبي عاصم ح١٤٦٢.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»، مما يدل على أن إسناد الأمور لغير الأكفاء إيذان بخراب النظم وضياعه. ووضع غير المستحق في المكان العالي يحرم المستحق الحقيقي من حقه، وقد حرم الله الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً. ثم إن من قام بهذا الفعل يتحمل وزر إضاعة الحقوق وظلم المستحق. وفي هذا من الضرر العام ما يؤدي إلى تفشي المحاباة والمجاملة على حساب الكفاءة والعلم، وينتج عنه تراجع في الأعمال وضياع للمصالح.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها ستأتي على الناس سنون خداعة، يُصدَّقُ فيها الكاذب، ويُكذَّبُ فيها الصادق، ويُؤتمَنُ فيها الخائن، ويُخوَّنُ فيها الأمين، وينطق فيها الرُّوَيْبِضَة» قيل: وما الرُّوَيْبِضَة؟ قال: «السفيه يتكلم في أمر العامة». مسند أحمد ح ٧٩١٢. وهو حديث حسن بمجموع طرقه.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى في جامع العلوم والحكم: «ومضمون ما ذكر من أشراط الساعة في هذا الحديث يرجع إلى أن الأمور توسد إلى غير أهلها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: لمن سأله، عن الساعة: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»، فإنه إذا صار الحفاة العراة رعاء الشاء -وهم أهل الجهل والجفاء- رؤوس الناس، وأصحاب الثروة والأموال، حتى يتطاولوا في البنيان، فإنه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا، فإنه إذا كان رأس الناس من كان فقيرا عائلا، فصار ملكا على الناس، سواء كان مُلْكُه عامًا أو خاصًا في بعض الأشياء، فإنه لا يكاد يُعطي الناس حقوقهم، بل يستأثر عليهم بما استولى عليه من المال، فقد قال بعض السلف: لأن تمد يدك إلى فم التنين، فيقضمها، خير لك من أن تمدها إلى يد غنيٍّ قد عالج الفقر. وإذا كان مع هذا جاهلا جافيا، فسد بذلك الدين، لأنه لا يكون له همة في إصلاح دين الناس ولا تعليمهم، بل همته في جباية المال واكتنازه، ولا يبالي بما فسد من دين الناس، ولا بمن ضاع من أهل حاجاتهم. وقال في حديث آخر: «لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها». وإذا صار ملوك الناس ورؤوسهم على هذه الحال انعكست سائر الأحوال، فصدق الكاذب، وكذب الصادق، وائتمن الخائن، وخون الأمين، وتكلم الجاهل، وسكت العالم، أو عدم بالكلية. كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، وأخبر: أنه يُقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالم، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا». وقال الشعبي رحمه الله تعالى: «لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلا، والجهل علما». وهذا كله من انقلاب الحقائق في آخر الزمان وانعكاس الأمور. وفي صحيح الحاكم عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: «إن من أشراط الساعة أن يُوضع الأخيار، ويُرفع الأشرار». (جامع العلوم والحكم: ١/١٣٩).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يختار لكل مهمة الرجل الذي يناسبها بكفاءته وقدرته الخاصة.

فوضع أبا بكر في الصلاة؛ وعلياً في القضاء؛ وعتاب بن أسيد على مكة؛ فقد استعمله النبي على مكة وهو شاب يبلغ نحو عشرين عاماً؛ لذكائه وحكمته وحسن إدارته لأطهر البقاع.

وأسامة بن زيد في الجيش؛ فقد ولاه النبي صلى الله عليه وسلم قيادة جيش فيه كبار الصحابة كأبي بكر وعمر؛ لأنه كان كفئاً لقيادة الجيوش وفنون القتال.. وخالد بن الوليد لقبه النبي بسيف الله المسلول واختاره لقيادة الجيوش وتحقيق الانتصارات العسكرية البارزة لمهارته وحنكته القتالية الفريدة.

ومصعب بن عمير بعثه النبي سفيراً ومعلماً لأهل المدينة قبل الهجرة لتميزه بالحكمة وحسن الوفادة والقدرة على الدعوة والحوار. ومعاذ بن جبل؛ أرسله إلى اليمن قاضياً ومعلماً لفقهه الواسع وعلمه بأحكام الحلال والحرام. وقال له: "أعلمُ أمتي بالحلال والحرام معاذ".

وعمرو بن العاص؛ ولاه النبي قيادة غزوة ذات السلاسل لحنكته العسكرية ودهائه وخبرته بالقبائل. حتى سأل عمرو بن العاص النبي صلى الله عليه وسلم: "أي الناس أحب إليك؟" قال:

Upload by : altawhedmag.com

"عائشة"، قال: "فمن الرجال؟" قال: "أبوها"، دليل على تقدير الأقدار والمنازل للرجال.

وبلال بن رباح: اختاره لرفع الأذان لنداء الصلاة لجمال صوته وقوته وجهارته. وزيد بن ثابت: ولاه كتابة الوحي لذكائه وسرعة حفظه ودقته. وحسان بن ثابت: جعله شاعراً للدفاع عن الإسلام بلسانه؛ لأن شعره كان قوياً ومؤثراً.

وقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من المحاباة في الوظائف وطلبها والحرص عليها كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه» (رواه مسلم)؛ وذلك لمنع تولّي غير الكفء أو طالب المنظرة والوجاهة.

كيف لا وهو القائل صلى الله عليه وسلم: "إذا وُسِّد الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة". فالرجل المناسب في المكان المناسب، فلا تسند الوظيفة إلاّ لمن هو أهل لها، لغرض أن تبرز كفاءته وصفاته، فالنبي صلى الله عليه وسلم اعتذر لأبي ذر رضي الله عنه لما طلب منه أن يستعمله، بل حذره من خطر ذلك عليه مما عرفه عنه صلى الله عليه وسلم، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذرٍّ إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمّرنّ على اثنين ولا تولّينّ مال يتيم". وعنه قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: "يا أبا ذرٍّ إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة إلاّ مَنْ أخذها بحقها، وأدّى الذي عليه فيها" رواه مسلم.

وقد يكون الرجل حسن السيرة، معروفاً بين الناس بأخلاقه وفضائله لكنه ليس أهلاً لتولّي المناصب العامة، فلو أعطي له منصب معين فسيؤدي به إلى عواقب سيئة، فالحديث معناه أنه إذا أنيط برجل منصب، ولم يكن أهلاً لقيادته فسيؤول إلى خراب وإلى دمار، وانتظار الساعة يعني: خراب ذلك الشيء. فحين طلب أبو ذر من النبي صلى الله عليه وسلم الإمارة، فردّ النبي توليته لعدم ملائمة قدراته الإدارية للمنصب رغم صلاحه وتقواه.

وفي حديث آخر يرويه الحاكم بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ استعمل رجلاً من عصابة-أي: طائفة- وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين". ويعرف هذا الشخص من خلال حسن تصرُّفه، وصيت سمعته بين المسلمين، وقد ظهر ذلك عياناً، واشتهر بفضائله بينهم، فهذا يقدم على غيره.

خطورة توسيد الأمر لغير أهله:

سقطت دول وزالت عروش وانهدت ممالك بسبب توسيد الأمور إلى مَن لا يحسن إدارتها. قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد وقلّ عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية، وتغلّب الفرنج على سواحل الشام بكماله، حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد طرابلس وأنطاكية وجميع ما والى ذلك، إلى بلاد آياس، واستحوذوا على بلاد آمد وأرزها ورأس العين وبلاد شتى غير ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقاً وأمماً لا يحصيهم إلاّ الله، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يُحدّ ولا يُوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يُحدّ ولا يُوصف، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق، ولكنّ الله سلّم، وحين زالت أيامهم وانتقض إبرامهم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته". (البداية والنهاية ط إحياء التراث: ١٢/ ٣٣٢).

نسأل الله تعالى السلامة والعافية. والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

«لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث»

قليل حلال نافع خير من كثير حرام ضارّ

أ. د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

أمّا بعد: فإنّ كثيرًا من الناس مَبلغ علمهم، ومعظم شغلهم، وأكبر همهم: جمْع الأموال الكثيرة، وتحصيل الترف ورغد العيش من أيّ طريق كان، وبأيّ سبيل حصل، وأما أهل الإيمان ذوو البصيرة والعرفان فإنهم لا يغترون بذلك، وإن كان أحدهم مجبولًا على حبّ المال؛ لأنهم يعلمون أن هذا المال وسيلة لا غاية، فلا يحملهم على اقتراف المحرمات، واكتساب الموبقات.

وجدير بالعبد الصالح أن تكون نظرته التي يوجهها، وهدفه الذي يُيَمِّمه على وعي تام بذلك؛ فيميز بين مال طيب وآخر خبيث، ويُفرّق بين ما طريقه مشروع وما هو شبهة أو ممنوع. وعليه أن يعلم أنه لا يستوي المال الخبيث والمال الطيب؛ فالأول ممقوت منزوع البركة والخير، والآخر مُبارَك مُرتضى وشتان بين المالين وصاحبيهما.

قال تعالى: «قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ» (سورة المائدة:١٠٠)؛ قال ابن كثير في تفسيره (٣/٢٠٣): "يعني: أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضارّ، كما جاء في الحديث: "ما قل وكفى، خير مما كثر وألهى" (وهو جزء من حديث أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٣٢٩) عن أبي الدرداء رضي الله عنه).

وقيل في معنى الآية: لا يستوي الخبيث والطيب يعني: صدقة من حرام لا تصعد إلى الله تعالى، وصدقة من حلال تقع في يد الرحمن، يعني: يقبلها. وذلك أن مثقال حبة من صدقة الحلال أرجح عند الله من جبال الدنيا من الحرام.

وهذه الآية أصل كبير في هذا الباب وليست خاصة بباب الأموال، وإنما هي: "حكم عام في نفي المساواة عند الله سبحانه وتعالى بين الرديء من الأشخاص والأعمال والأموال، وجيّدها. قصد به الترغيب في صالح العمل وحلال المال" (محاسن التأويل للقاسمي (٤/٢٥٨)).

وواقع الناس اليوم شاهد بأن كثيرًا من الناس لا يبالون بهذا الأصل، بل ينظرون إلى الكثرة دون اعتناء بالحل والطيب. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «يأتي على الناس زمان، لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام» (أخرجه البخاري (٢٠٥٩)).

وعدم المبالاة بطريق الكسب خطر عظيم، وفتحٌ لباب شر كبير، وعلى العبد أن يراجع نفسه في

Upload by : altawhedmag.com

ذلك، ويتذكر أن المال موضع السؤال يوم القيامة من وجهين لا من وجه واحد. وهذان الوجهان هما وجه تحصيله واكتسابه، ووجه بذله وانفاقه؛ فعن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه» (أخرجه الترمذي في سننه (٢٤١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح).

إن الذي يحرص على جمع المال من طريق مشروع مباح يُبارك له في كسبه فيرى القليل كثيرًا، واليسير كبيرًا.

وطرق الحلال -ولله الحمد والمنة- كثيرة، وأبواب الحرام أقل، ولكن العبد إذا أقبل على الحرام وترك الحلال الطيب سُدّت أبواب الحلال في وجهه وضاقت عليه، واتسعت عليه طرق الحرام كما وقع في قصة أصحاب السبت؛ فإن امتحانهم بكثرة وجود الحيتان والأسماك في يوم السبت الممنوع عليهم الاصطياد فيه سببه فسقهم واحتيالهم؛ قال تعالى: «واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون» (سورة الأعراف:١٦٣).

وقوله: «إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم»؛ أي: نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده، وإخفائه عنهم في اليوم المحلل لهم صيده «كذلك نبلوهم» نختبرهم «بما كانوا يفسقون»؛ يقول: بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله، بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام.

وعن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل" (قال ابن كثير في تفسيره (٣/٤٩٣): "وهذا إسناد جيد").

وينبغي للعبد أن يعلم حقيقة المال، وألا يغفل عنها فالمال جامع بين كونه نعمة وفتنة

أما كون المال نعمة فقد قال الله عز وجل: «فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون» (سورة الزمر: ٤٩)؛ قال القاضي ابن عطية الأندلسي في تفسيره (٤/٥٣٦): «والنعمة هنا عامة في جميع ما يُسديه الله إلى العبد، فمن ذلك إزالة الضر المذكور، ومن ذلك الصحة والأمن والمال، وتقوى الإشارة إليه في الآية بقوله: «إنما أوتيته على علم»، وبقوله: «يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر»، وبذكر الكسب، وكذلك الضمير في: «أوتيته»؛ وذلك يحتمل وجوها، منها: أن يريد بالنعمة المال كما قدمناه...».

ومن دلائل أن المال نعمة:

أ- ذكر المال في مواضع الامتنان على الخلق وتذكيرهم بنعمه عز وجل؛ قال سبحانه: «واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون (١٣٢) أمدكم بأنعام وبنين (١٣٣) وجنات وعيون» (سورة الشعراء: ١٣٢- ١٣٤)؛ والأنعام والجنات والعيون من أصناف المال كما لا يخفى.

ب- ذكر المال في مقام الثواب والإنعام بسعة الأرزاق على الاستغفار وطاعة الله عز وجل؛ ومن ذلك قوله تعالى: «فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا (١٠) يرسل السماء عليكم مدرارا (١١) ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا» (سورة نوح: ١٢).

ج- التصريح بأن رزق الله لعباده نعمة تستوجب شكرًا له سبحانه لا كفرًا، والمال من أبواب الرزق؛ فبه يجلب الطعام والشراب والمسكن، وغير ذلك؛ قال تعالى: «وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» (سورة النحل: ١١٢).

وأما كون المال فتنة، فقد دل عليه قوله تعالى: «واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم» (سورة الأنفال: ٢٨)، وقوله تعالى: «إنما أموالكم وأولادكم فتنة

Upload by : altawhedmag.com

﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة التغابن: ١٥)؛ ولأهل التفسير أوجه عديدة في تحديد المقصود بالفتنة في هاتين الآيتين الكريمتين، إلا أن الأكثرين منهم فسروا الفتنة في الآيتين بالابتلاء والاختبار. وهذا قد جاء مصرحًا به في مواضع أخرى من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٦).

وهذا يؤكد ما تقرر من أن المال نعمة؛ ذلك أن كل نعمة أعطيها العبد فإنه يُختبَر فيها أيشكر أم يكفر، وإذا حُرِمَ منها فهو مبتلى أيصبر أم يجزع ويسخط؟

وقد فسر عبد الرحمن بن زيد - كما عند الطبري في تفسيره (١٢٧/١١) الفتنة بقوله: «فتنة الاختبار. وقرأ قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٥)، ومراده أن المعنى: ونبلوكم بالشر والخير ابتلاء".

والمتأمل في حديث القرآن الكريم عن المال وأوصافه لا يخطئه أن يعلم أنَّ المال نعمة وخير، وبه قيام أمور العباد، وتحصيل منافعهم، وأنه أيضًا فتنة يختبر به العباد في وجوده وعند فقده، فمنهم من يشكر ويصبر، ومنهم من يجزع ويكفر.

ومن أجل هذا فإنَّ المال لا يُذَمّ لذاته، ولا يُعاتَب مَن أحبّه؛ فإنَّ الإنسان قد جُبِل على ذلك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (سورة العاديات: ٦- ٨)، والخير: المال في قول جميع المفسرين، كما نقله الماوردي في تفسيره (٢٣١/١)، والواحدي في بسيطه (٢٥٤/٢٤).

وليس في القرآن الكريم ولا السنة النبوية المطهرة ما يُطالب الإنسان بأن يقتلع هذه المحبة من نفسه، وإنَّما جاء الشرع بتهذيبها، وضبطها والتسامي بالنفس أن تمتلك ما أحبت من صنوف الأموال المباحة بلا استشراف وبما لا تتحول معه هذه الأموال لأن تملك صاحبها، فيدخل حينئذ في " تَعِس عبد الدينار وعبد الدرهم".

موضع المدح والذم من المال:

بعد أن اتضح مما سبق أن المال في نفسه خير ونعمة، وأنه قوام لمعيشة الإنسان، وعون له على طاعة الرحمن، فليُعلم أيضًا أن هذا المال قد يكون ممدوحًا، وقد يكون مذمومًا، وذلك بحسب عمل الإنسان وكسبه له؛ فإذا حصل عليه من وجه مباح مشروع، وأنفقه في وجه مباح غير ممنوع فقد برئ المال من صفة الذم، ثم تتفاوت رتبته في المدح، كما لو أنفقه في واجب أو مندوب فإنه محمود، ومرغوب فيه، وإن حصل عليه الإنسان بطريق محرم، أو أنفقه في سبيل غير مشروع أو جمع بين الأمرين فهذا موضع الذم والإثم.

قال ابن عبد البر: «المال المذموم عند أهل العلم هو المطلوب من غير وجهه والمأخوذ من غير حله، والآثار الواردة بذم المال في هذا المعنى، فوجه ذلك كله عند أهل العلم والفهم في المال المكتسب من الوجوه التي حرَّمها الله ولم يُبحها، وفي كل مال لم يُطع الله جامعُه في كسبه، وعصى ربه من أجله وبسببه، واستعان به على معصية الله وغضبه، ولم يُؤدّ حق الله وفرائضه فيه ومنه، فذلك هو المال المذموم، والكسب المشئوم، وأما إذا كان المال مكتسبًا من وجه ما أباح الله، وتأدَّت منه حقوقه، وتقرب فيه إليه بالإنفاق في سبيله ومرضاته، فذلك المال محمود ممدوح كاسبه ومنفقه، لا خلاف بين العلماء في ذلك، ولا يخالف فيه إلا من جهل أمر الله، وقد أثنى الله تعالى على إنفاق المال في غير آية من كتابه، ومحال أن يُنفق ما لا يُكتسب... وما في القرآن من هذا المعنى كثير جدًا، وكذلك السنن الصحاح كلها تنطق بهذا المعنى، وهو الثابت عن الصحابة، والتابعين وفقهاء المسلمين» (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٧١١/١)).

أيها الكرام.. ليكن شعارنا: نجمع المال من حلال، ونؤدي حق الكبير المتعال، والبركة من الله حاصلة في الطيب الحلال.

جعلنا الله وإياكم من الطيبين الأتقياء، ورزقنا عيش السعداء، وجمعنا في الجنة مع النبيين رفقاء. والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الحلقة (٤)

من أحداث السنة الرابعة من الهجرة

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد: فما زلنا في أحداث السنة الرابعة من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وقد سبق لنا ذكر بعض أحداث هذه السنة، ونذكر في هذا العدد شيئًا من أحداثها أيضًا.

الحدث الأول: وفاة عبد الله بن عثمان:

ففي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم عَبْدُاللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بن عَفَّان رضى الله عَنهُ، يَعْني مِنْ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ ابْنُ ستٌّ سِنِينَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَزَلَ فِي حُفْرَتِهِ وَالِدُهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٧٢).

قال ابن كثير: تَزَوَّجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رُقَيَّةَ، وَهَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا؛ ثُمَّ رَجَعَا إِلَى مَكَّةَ، كَمَا قَدَّمْنَا، وَهَاجَرَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَوَلَدَتْ

Upload by : altawhedmag.com

لَهُ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ فَبَلَغَ ستَّ سنين، فَنَقَرَهُ ديكٌ في عَيْنَيْه فمات، وبه كان يُكنَّى أوَّلًا، ثُمَّ اكْتَنَى بابْنه عَمْرو. السيرة النبوية لابن كثير (٤/ ٦١٠).

وهذا الحديث يتضمن فضيلةً وأجرًا عظيمًا لعثمان ولرقية رضي الله عنهما؛ لأنهم ابتُلوا بفَقْد الولد؛ وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِياءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" مسند أحمد (٢٧٠٧٩).

وقال سَعْد بن أبي وقاص: يا رَسُولَ اللَّه، أَيُّ النَّاس أَشَدُّ بَلاءً؟ قال: "الأَنْبِياءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ من النَّاس، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِه؛ فَإِنْ كَانَ في دِينِه صَلابَةٌ زِيدَ في بَلائه، وَإِنْ كَانَ في دِينِه رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ". مسند أحمد (١٤٨١) وإسناده صحيح.

الحدث الثاني: وفاة أبي سلمة رضي الله عنه.

ففي شعبان من هذا السنة تُوُفِّيَ أبو سَلَمَةَ رضي الله عنه.

وأبو سلمة هو عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الأَسَدِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ.

قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد كان أبو سلمة رضي الله عنه قريبًا من النبي صلى الله عليه وسلم من جهتين

الأولى: أن أُمَّهُ هي بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم.

الثانية: كَانَ رَضِيعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتَضَعَا مِنْ ثُوَيْبَةَ مَوْلاةِ أَبِي لَهَبٍ.

فعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، أَخْبَرَتْهَا: أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: "أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكِ"، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ ذَلِكِ لَا يَحِلُّ لِي". قُلْتُ: فَإِنَّا نُحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ؟ قَالَ: "بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ"، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: "لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا لَابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلَا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ" رواه البخاري (٥١٠١)، ومسلم (١٤٤٩).

وفيه من الفوائد: أهمية معرفة المحرمات من الرضاع حتى لا يقع الزواج من المحارم، وهي مهمة الآباء والأمهات، والأبناء فيما بعد ذلك؛ فهو باب من المعرفة لا بد منه لكل مسلم.

وفيه: أن الأخبار أحيانًا قد تظهر وليس لها أساس ولا أصل، بل هي إشاعات فإن هذا لم يحصل ومع ذلك بلغها، وقد تكون هذه الإشاعة حصلت من المنافقين. شرح سنن أبي داود للعباد (٥/ ٢٣٧).

إسلام أبي سلمة: وقد كَانَ إِسْلَامُ أَبِي سَلَمَةَ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَالْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ قَدِيمًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؛ وقال ابن إسحاق: أسلم بعد عشرة أنفس فكان الحادي عشر، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى غزوة العشيرة وكانت في السنة الثانية. إكمال تهذيب الكمال (٨/ ٢٣).

هجرته: وَقَدْ هَاجَرَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَّةَ، وَقَدْ وُلِدَ لَهُمَا بِالْحَبَشَةِ أَوْلَادٌ؛ ثُمَّ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ،

Upload by : altawhedmag.com

وتبعته أم سلمة إلى المدينة.

وهنا تجذب الذاكرة إلى الوراء عدة أعوام لتطل إطلالة خفيفة على هذا الحديث العجيب: قال ابن كثير: فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بني مخزوم، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة، حين آذته قريش مرجعه من الحبشة، فعزم على الرجوع إليها، ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخوانا فعزم إليها.

قال ابن إسحاق: فحدثني أبي، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، عن جدته أم سلمة قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره؛ فلما رآته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه.

قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة؛ قالت: ففرق بيني، وبين ابني وبين زوجي، قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريبا منها. حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تحرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟!

قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت.

قالت: فرد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة.

قالت: وما معي أحد من خلق الله.

حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة أخا بني عبد الدار؛ فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة.

قال: أو ما معك أحد؟ قلت: ما معي أحد إلا الله وبني هذا.

فقال: والله ما لك من متترك.

فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي، فو الله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها.

فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي.

فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي.

فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلا، فادخليها على بركة الله.

ثم انصرف راجعا إلى مكة.

فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة.

- وشهد بدرا وأحدا، ومات من آثار جرح جرحه بأحد. رضي الله عنه وأرضاه.

Upload by : altawhedmag.com

- لَهُ حديثٌ واحدٌ في الاسترجاع عند المصيبة. السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٧٣).

وهو حديث عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّهِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي؛ فَأْجُرْنِي فِيهَا، وَأَبْدِلْنِي مِنْهَا خَيْرًا، فَلَمَّا احْتُضِرَ أَبُو سَلَمَةَ قَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْ فِي أَهْلِي خَيْرًا مِنِّي؛ فَلَمَّا قُبِضَ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؛ عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيهَا. أخرجه الترمذي (٣٥١١)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه، ورُوِيَ هذا الحديثُ من غير هذا الوجه عن أمِّ سلمة عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأبو سلمة اسمُهُ: عبدُ الله بْنُ عبد الأسد.

الحدث الثالث: ولادة الحسين بن علي رضي الله عنهما

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْهَا وُلِدَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وعَنْ هَانِئِ بْنِ هَانِئٍ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَمَّا وُلِدَ الْحَسَنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟" قَالَ: قُلْتُ: حَرْبًا. قَالَ: "بَلْ هُوَ حَسَنٌ". فَلَمَّا وُلِدَ الْحُسَيْنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟" قَالَ: قُلْتُ حَرْبًا. قَالَ: "بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ"؛ فَلَمَّا وُلِدَ الثَّالِثُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟" قُلْتُ: حَرْبًا. قَالَ: "بَلْ هُوَ مُحَسِّنٌ" مسند أحمد (٧٦٩) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وقد سبق ذكر فضائله في مولد أخيه الحسن رضي الله عنه.

الحدث الرابع: زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت خزيمة رضي الله عنها

قَالَ: وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، الْهِلَالِيَّةَ.

وَهِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا "أُمُّ الْمَسَاكِينِ"؛ لِكَثْرَةِ صَدَقَاتِهَا عَلَيْهِمْ وَبِرِّهَا لَهُمْ وَإِحْسَانِهَا إِلَيْهِمْ.

وَأَصْدَقَهَا ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا، وَدَخَلَ بِهَا فِي رَمَضَانَ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ الطُّفَيْلِ بْنِ الْحَارِثِ فَطَلَّقَهَا.

قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيِّ: ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا أَخُوهُ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْغَابَةِ: وَقِيلَ كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ فَقُتِلَ عَنْهَا يَوْمَ أُحُدٍ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَلَا خِلَافَ أَنَّهَا مَاتَتْ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ: لَمْ تَلْبَثْ عِنْدَهُ إِلَّا شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً حَتَّى تُوُفِّيَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ سَلَمَةَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ. السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٧٤-١٧٧).

وهذا هو ما نذكره بشيء من التفصيل في العدد القادم بإذن الله تبارك وتعالى، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

أخبار الجماعة

قرر مجلس إدارة المركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية بجلسته المنعقدة يوم الأحد الموافق: 23/8/2026م، الموافقة بالإجماع على الآتي:

اختيار الشيخ/ أبو العطا عبد القادر محمود الزع، أمينًا عامًا للجمعية.

◆◆◆

اختيار الشيخ/ عبد الغنى إبراهيم أمين سمك، مديرًا لإدارة التكافل الاجتماعي والإغاثة.

◆◆◆

كما قرر مجلس إدارة المركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية بجلسته المنعقدة يوم السبت الموافق: 8/8/2026م، الموافقة بالإجماع على اختيار د/ أحمد جمال السيد المراكبى، أمينًا عامًا للجنة العلمية للمركز العام (متطوعًا).

Upload by : altawhedmag.com

علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم

التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com